النصائح والتوجيهات الأثرية
للوقوف على حقيقة الدعوة السلفية

بقلم
سمير المبحوح

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ آل عمران [102]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾النساء [1]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب [70، 71]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ وأحسن الهدي هدي محمدﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار [1]

وبعد

فإن الدين النصيحة كما قال النبي ﷺ: «الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[2].

---

(1) أخرجه مسلم.

(2) أخرجه مسلم.

وهذه النصيحة حق وواجب على العلماء؛ ليقوموا بواجبهم الدعوي إلى الناس كافة، من نصحهم وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، وحثهم على العقيدة السليمة، والمنهج الصحيح.

وأحق الناس في قبول النصيحة والتوجيه والإرشاد هم طلبة العلم؛ لأنهم يواجهون في دعوتهم من يحاربون الدعوة السلفية، بشتى الأساليب الشيطانية، والطرق الباطلة المنحرفة عن منهج السلف الصالح.

فهذه الهجمة الشرسة على الدعوة السلفية، لابد لها من النصيحة للتمسك بالوحدة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفق منهج السلف الصالح؛ لكشف زيفهم، ورد باطلهم، والتحذير من بدعهم بالحجة والبرهان.

ومن شكر الله ﷻ عليّ أنني ممن أسهم بهذه المقالات والنصائح وحرصاً وحفاظاً على الدعوة السلفية، وعلى دعاتها وطلبتها لدفع الشبهات، والتهم الباطلة التي ألصقها أهل البدع والضلال.

فالوحدة على منهج السلف عقيدة، ومنهجاً، وأخلاقاً، وسلوكاً، وأدباً، وجهاداً، كل هذا لابد أن يُترجم على الواقع العملي لدعاة الدعوة السلفية، حتى نستطيع أن نثبت على دين الله، وحتى تثمر دعوتنا في الناس، وحتى نواجه المصاعب والمحن والفتن التي تواجهنا، بكل علم وأدب وحكمة، وعدم العجلة،

لمعالجة التقصير الذي وقع فيه بعض طلبة العلم، فالإنسان بشر يخطئ ويصيب، وأنا على يقين تام –إن شاء الله- في نجاح ومعالجة هذا التقصير، وما أحد يخلو من الأخطاء والتقصير سوى الأنبياء والرسل عليهم السلام فهم قدوتنا وأسوتنا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عبد الله البخاري سمير المبحوح

غزة – فلسطين

20 ربيع الآخر 1443هـ

كيف تكون مِنْ دُعاة التوحيد

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدعوة إلى التوحيد كانت من أوليات مهام الأنبياء والرسل، وذلك لأهميته، ومكانته في نفوس الناس، وهو الأصل الذي تُبنى عليه الأقوال والأفعال، ولا يَقبل الله أي قول أو عمل إلا على أساس التوحيد الخالص، وهذا منهج رباني فمَن أراد الفلاح والنجاح في دعوته ،والفوز بجنات النعيم، عليه أن يسير على هذا المنهج ،وهو تقرير العقيدة الصحيحة، عقيد الأنبياء والرسل، وبمنهاج واحد، وهو منهج السلف الصالح، بعيد كل البعد عن المناهج الكلامية، الفلسفية، لأنها عقيدة ربانية، ولم يتركها الله ﷻ للعقل البشري يستنتجها ويخوض فيها تلقائيا، بل هي عقيدة تخاطب القلب والحس والعقل والفرد والمجتمع.

فهذه العقيدة لابد مِنْ غرسها في النفوس بأسلوب علمي مِن الكتاب والسنة الصحيحة، وبأسلوب يؤثر في العقل والقلب، وهذا يحتاج مِن الداعية إلى العلم النافع، والفهم السليم، والإيمان العميق، حتى يستطيع أن يؤدي وظيفته ومهمته، والتي هي في الأصل وظيفة ومهمة أنبياء الله ورسله. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ محمد [19]

وهذه الدعوة لابد أن تكون على بصيرة، وعلم بما يدعو إليه، قَالَ تَعَالَىٰ:
﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف [108]

فأتْباع الرسول، هم الدعاة إلى سبيله على بصيرة.

والبصيرة: هي العلم بما يدعو إليه، وما ينهى عنه، وأحوج الناس إلى هذه البصيرة هم العلماء والدعاة، فهم ينفعون أنفسهم بالعلم، وينفعون غيرهم بالدعوة، وهو أهم سلاح يتسلح به العلماء والدعاة.

فإذا تحقق هذا العلم، وتمكَّن منه الداعية، قام بواجبه الدعوي، المَنوط به. قَالَ تَعَالَىٰ:
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ النحل [125]

والحكمة هي الأدلة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق، والداحضة للباطل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكمة هي معرفة الحق والعمل به، فالقلوب التي لها فهم وقصد تُدعى بالحكمة، فيُبَيَّنُ لها الحق علماً، وعملاً، فتُبلّغه وتعمل به، وآخرون يعترفون بالحق، لكن لهم أهواء تصدهم عن اتِّباعه، فهؤلاء يُدعَوْن بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق، والترهيب مِن الباطل.

والدعوة بهذين الطريقين لَمن قَبِل الحق، ومَنْ لم يقبله، فإنَّه يُجادَل بالتي هي

أحسن» (1)

وبهذا يُعلم أنّ الأسلوب الحكيم، والطريق المستقيم في الدعوة، أن يكون الداعية حليماً في دعوته، حكيماً فيما يأمر وينهى، بصيراً بأسلوبها.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ البقرة [269]

فالعلم والفقه في الدين، والورع، كله من الحكمة، ومَن ضلَ طريق الحكمة، فقد أخطأ الطريق، ولم يُحسِن دعوته، فحينئذً لا ثمرة لجهوده الدعوية.

*والداعية إلى التوحيد الخالص، لابد أنْ يتيقن أنَّ هذه العقيدة، هي عقيدة الحق، وما عداها باطل، لا يحتاج إلى نقاش أو جدال أو شك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ البقرة [120]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ يونس [32]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ الأنعام [56]

هذا الإيمان العميق بهذه العقيدة، قائم على العلم القطعي، الذي لا شك فيه،

(1) مجموع الفتاوى 19 / 164.

فلا يتأثر أو يضعف أو يزول، لأي مؤثر خارجي، بل هو ثابت لا يتزعزع. مهما تعرض المؤمن للمحن والفتن والشدائد والمصائب، ومهما كانت حالته مِن ضعف أو قلة بالنسبة لقوة وكثرة أهل الباطل.

فإذا تحقق هذا الإيمان العميق في قلب داعية التوحيد، ازداد توكله على ربه في جميع أموره لاعتقاده بأنَّ الله ﷻ هو المتفرد بالخلق والتدبير، والضرر والنفع بيده، والمنع والعطاء بيده وحده، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يَكن، بل يزداد هذا التوكل على الله إذا أيقن أنَّ الخلق لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضراً ولا نفعاً.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ الطلاق [3]

وداعية التوحيد، يواجه في دعوته الجاهل، والمجادل، والمبتدع، والمشرك، والضال، والمنحرف، ففي هذه الحالة لابد أن يستعين بالصبر، وأن يحبس نفسه عن ردة الفعل والتسخط، وترك الشكوى للناس.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ ﴾ الأحقاف [35]

وقَالَ تَعَالَى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة [24]

وقال ﷺ:«عجبا لأمر المؤمن، إنّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إنْ أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً

له»[1] وأحق الناس بالصبر هم العلماء والدعاة، لدورهم وحاجة الناس إليهم، إذ بدونه لا يستطيع بلوغ ما يريد، لأنّ المُراد لا يُنال غالبا إلا بتحمل المكاره والشدائد، وحبس النفس عليها.

وحتى تكون دعوة التوحيد مؤثرة في نفوس دعاتها، لابد لهم مِن التواضع للناس، وعدم التكبّر عليهم، وهذا يرفع من مكانة الداعية، ويزداد به عزاً، لقوله ﷺ:«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» [2]

فلا يمكن لإنسان عرف ربه، وعرف قدر نفسه، أن يتكبر ولا يتواضع للناس، لأن المتكبر جاهل بربه، والمتواضع عارف بربه، فهو يخفض جناحه للناس، ويدعوهم إلى التوحيد، ثم إنّه مِن طبيعة الناس أنّهم لا يقبلون قول مَن يتكبر عليهم، ويحتقرهم، ويستضعفهم، وإن كان قولُه حقا، وهذا يؤدي إلى صدِّ الناس عن دعوة التوحيد. فعلى داعية التوحيد أن يتفطّن لهذا، ولا يكون سبباً لنُفرة الناس عن الدعوة.

فبهذه الطرق والأساليب، الدعوية والإخلاص لله، يتقيد داعية التوحيد بالمنهج

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

الرباني في تقرير العقائد وتثبيتها، والابتعاد عن التعقيدات الكلامية التي تثير الشبهات والمشكلات، مما وقع فيه مَن يعتقدون العقيدة الباطلة، المخالفة لعقيدة السلف الصالح، والعمل على تنقيح كتب العقيدة مِن تلك الأساليب، والرجوع إلى أسلوب السلف الصالح في عرض العقيدة وتوضيحها للناس، حتى يسهُل عليهم فهمها واعتقادها.

وهذا يحتاج إلى جهد العلماء للكتابة بأساليب تناسب الجميع، ووضع القواعد السليمة والأسس الصحيحة لفهم التوحيد.

وأي دعوة لا تقوم على قواعد سليمة وأسس صحيحة، لهي دعوة باطلة وهي دعوة على غير بصيرة، وهذا حال أصحاب العقائد الفاسدة والمناهج الدعوية المنحرفة، التي خالف أصحابها ما كان عليه الأنبياء والرسل، فيتخبطون في دعوتهم خبط عشواء، فلا نفعوا أنفسهم، ولا نفعوا غيرهم، فهم بحاجة إلى تعلم العقيدة الصحيحة، حتى يحققوا التوحيد في أنفسهم، وينقذوها من الشرك والخرافات والبدع، وبهذا يستطيع الداعية منهم أن يرُدّ على أصحاب العقائد الباطلة، ويفنِّد شبهاتهم ويرد عليها، فحينئذٍ، تكون العقـيدة الصحيـحة، -عقيدة السلف الصالح - هي العقيدة السائدة التي يعتقدها المجتمع، وهذا ما نسعى إليه، وندعو الناس إليه، وفق منهج الأنبياء والرسل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

نجاحنا وقوتنا في وحدتنا على عقيدتنا ومنهجنا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنّ مما تعاني منه الأمة الإسلامية، التفرق والاختلاف في عقيدتها ومنهجها الذي أدّى إلى الضعف والتعصب والتقليد واتباع العوائد السيئة التي كانت سبباً في تمزيق الأمة شيعاً وأحزاباً، وكلُّ ذلك أثّر في وحدة الأمة، وساهم في تمزيقها وتشتيتها وتفريقها وإضعافها، وزوال مكانتها وهيبتها بين الأمم.

إنّ هذه المنهجية الخاطئة أدت إلى ظهور الفرق، واختلاف المناهج والعقائد والتصورات والقيم، لأنّ أصحاب هذا المنهج الفاسد قدّموا أهواءهم على الشرع، ثم حاولوا جاهدين أنْ يستدلوا على أهوائهم وتفرقهم بتحريفهم للنصوص والأدلة الشرعية لتوافق ما هم عليه من البدع والأهواء، واعتمدوا على آرائهم وعقولهم في تقرير ما هم عليه من الباطل.

إنّ اتباع الأهواء شتت جهوداً ضخمة، وأمرض قلوباً كانت حية، ونتج عن تفشيه نتائج وخيمة وأمور جسيمة.

وإذا كانت هذه الفرقة هي طريق الانحطاط التي كان لها الأثر المباشر في تمزيق الأمة وتفريقها واختلافها، ففي اتحاد الأمة واتفاقها على أسس متينة من دينها واعتصامها بكتاب ربها، وسنة نبيها وتحقيق الأخوّة الإيمانية فيما بينها، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ آل عمران [103]

وقَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الحجرات [10]

فهذا الإسلام بعقيدته الصحيحة ومنهجه السليم، جعل الأمم والشعوب التي دخلت فيه أمة واحدة مترابطة ترابط الجسد الواحد، لا فرق بين العربي والعجمي، إلا بالتقوى، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات [13]

وقال ﷺ:«ألا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى» (1)

وقال ﷺ:«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (2)

وقال ﷺ «لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» (3)

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح الحديث: «لا تسعوا بأسباب البغضاء، وإذا

---

(1) رواه الإمام أحمد وإسناده صحيح.

(2) متفق عليه.

(3) متفق عليه.

وقع في قلوبكم بغض لإخوانكم فاحرصوا على إزالته وقلعه من القلوب»[1]

وقال الإمام ابن دقيق العيد ﷺ: «أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال»[2]

وقال العلاّمة السعدي ﷺ: «فعلى المؤمنين أن يكونوا متحابين متصافين غير متباغضين ولا متعادين، يسعون جميعاً لمصالحهم الكلية التي بها قوام دينهم ودنياهم، ولا يتكبر شريف على وضيع، ولا يحتقر أحدٌ فيهم أحداً»[3]

وقال ﷺ:«لا تختلفوا فإنّ مَنْ كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»[4]

إنّ المنهج النبوي هو طريق الوحدة والتعاون والتآخي بين المسلمين، والاجتماع على البِر والتقوى طريق أهل السنة والجماعة، الذين التزموا في كافة أمورهم بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه مِنْ بعده، عقيدةً ومنهجاً وعلماً وسلوكاً وأخلاقاً وآداباً وعبادة ومعاملة.

---

(1) شرح الأربعين النووية ص 484.

(2) المصدر نفسه ص 498.

(3) المصدر نفسه ص 499.

(4) رواه البخاري.

والكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، هما الميزان على الأقوال والأعمال والمعتقدات والمناهج، ولا يتم اللقاء إلا بالإيمان بهما وتطبيقهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «إنّ ما وافق كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه، وما كان عليه أصحابه فهو حق، وما خالف ذلك فهو باطل» (1)

ولا يمكن أن تتحقق وحدة المسلمين وقوتهم ما لم تجمعهم عقيدة ومنهج الأنبياء والرسل، فهذا السبيل هو الذي يصلح لجمع شتات المسلمين، والقضاء على الفرقة والمناهج الحادثة، وهذا يتطلب من كل مسلم نبذ المذاهب والعقائد المخالفة لما كان عليه سلف الأمة، لأن العقيدة تشكل أساساً مهماً في بنا الفرد والمجتمع، فإذا كانت العقيدة فاسدة مشوهة، فإنّ البناء لا يستقيم ولا يستطيع أن يواجه الأعاصير والفتن حتى ينهار.

فبهذه العقيدة، وهذا المنهج الرباني يتحقق التعاون والإيثار والرحمة والعفو والتسامح والتكافل والتآزر والتزاور والتناصح بين الإخوة والأحباب.

فإذا أخلص الإنسان، وتجرد لله ﵎، وتدبر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واتبع سبيل السلف الصالح، واختار الرفقة الصالحة التي تعينه على طاعة الله، تحققت الأخوّة بين أفراد المسلمين، وقويت شوكتهم، وتوارثوا الصدق والمودة والاحترام

(1) الفتاوى 11 / 582.

والثقة المتبادلة.

فإذا اختلفنا في العقيدة والمنهج، والكل منا يؤمن بما هو عليه، فلا يمكن أن يسود الإخاء والتعاون والتناصر والتناصح والتزاور، وأصبح الكل منا ضحية لأنانيته وأهوائه، من أجل ذلك جعل الرسول ﷺ العقيدة هي أساس الأخوة التي جمع عليها أفئدة الصحابة ﷺ دون الاعتبار لأي فارق إلا فارق التقوى والعمل الصالح.

وهذه العقيدة كانت حقيقة عملية تتصل بواقع الحياة والعلاقات القائمة بين الأنصار والمهاجرين، فكانت من أسباب قوتهم ونصرة الله لهم.

فصحة العقيدة وسلامة المنهج هما سر قوة الأمة، ومفتاح نجاحها وسعادتها، وهما الدواء الشافي لمن ابتُلِيَ بشيء من الهوى وحب الظهور والشهرة.

فتربية النفس على التقوى والخشية من الله ﷻ، ومحاسبتها دائماً فيما يصدر منها، والإكثار من استشارة أهل العلم، واستنصاح الآخرين من طلاب العلم الثقات، أصحاب الآراء الصحية الصائبة، وعدم الاستعجال في إصدار الأحكام، والحذر من ردود الأفعال التي قد يكون فيها إفراط وتفريط وغلو أو تقصير، وجهل وبغي وعدوان وظلم، فبهذه التربية يتجنب المسلم أسباب الفرقة والاختلاف ومضلات الفتن.

وحتى لا تضعف شوكتنا، وتفشل دعوتنا، لابد أن نجتمع بعقيدتنا ومنهجنا على دين الله متحابين، متعاونين على الخير، وما سوى شرع الله موزون وليس بميزان، ومحكوم وليس بحاكم، والعصمة حينئذٍ في التمسك بالسنة وعدم التنازع فيما بيننا.

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الأنفال [46]

وأنّ ما عليه أهل الأهواء والبدع، والغلاة من المتنطعين، مِن الأسباب التي ساهمت في نشأة كثير مِن الفرق الضالة والطوائف المنحرفة، لأنّ أصحابها قدّموا أهواءهم على الشرع، واعتمدوا على آرائهم وعقولهم القاصرة، لأجل ذلك كان علماء السلف يطلقون عليهم أهل الأهواء والبدع، وما كان مِنْ أهل السنة والجماعة إلا التمايز عنهم والاجتماع على الدليل الصحيح الذي يجمِّع ولا يفرِّق، وأنّ أي شيء لم يقم عليه دليل ولا برهان، فإنّه باطل مرفوض.

فعلينا جميعاً أنْ نسعى جاهدين إلى وحدة الكلمة، وجمع القلوب، وأنْ نتلطف بالمسلمين لنأخذ بأيديهم إلى بر الأمان، فنكون بذلك قد حققنا قول الله ﷻ:

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ الحجرات [10]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الدعوة السلفية رحمة للعالمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نداء حار وعاجل إلى أصحاب الفضيلة العلماء

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ المفتي العام للملكة.

الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وزير الأوقاف والشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد.

هيئة كبار العلماء.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نظراً لمكانة العلماء في الإسلام، ودورهم البارز في الدعوة إلى الله، فالمسلمون وضعوا ثقتهم فيكم يا أصحاب الفضيلة العلماء لعلمكم وصحة عقيدتكم وسلامة منهجكم، فكلمتكم مسموعة ونصائحكم مقبولة في العالم، ونحن معكم بالدعاء والتضرع إلى الله ليعينكم ويوفقكم لحمل هذه الأمانة، وأن يبارك لكم في علمكم ودعوتكم المباركة في أنحاء المعمورة.

أصحاب الفضيلة العلماء:

لا يخفى على فضيلتكم ما تمر به الدعوة السلفية من منعطف خطير جداً لم يسبق له مثيل في هذا العصر من أدعياء السلفية التكفيريين التفجيريين الذين أساءوا إلى الإسلام على أنه دين قتل للأبرياء وتفجير وتدمير للمصالح العامة، ومن حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام الذين شوهوا محاسن هذه الدعوة المباركة لجهلهم وعدم أخذهم العلم على أيدي العلماء الربانيين أمثالكم، مما أدى فعلهم اللا مسؤول إلى الإساءة للسلفية من تفريق كلمة السلفيين وشغلهم الشاغل في التكفير والتبديع والتفسيق بلا بينة شرعية.

وكما لا يخفى على فضيلتكم في مقابل هذا العمل اللا مسؤول أن هناك إقبالاً شديداً على الدعوة السلفية في العالم، وهذا من فضل الله علينا ثم من فضل دعاتها وعلمائها أمثالكم.

أصحاب الفضيلة العلماء:

حتى نضع حلاً شرعياً للحد من نشر هذه الأفكار المخالفة لديننا الحنيف، وفي المقابل المحافظة على إقبال الناس الشديد على هذه الدعوة المباركة بعقد مؤتمر سنوي وليكن في موسم الحج كل عام، ويُدعى إليه من كل بلد اثنان من العلماء السلفيين لاختيار أفضل الطرق وأيسر الأساليب لنشر هذه الدعوة ووضع حلٍ شرعي لمشكلاتها التي تواجهها، وليكن شعار هذا المؤتمر (الدعوة السلفية رحمة

للعالمين) أو أي شعار توافقون عليه والأمر لفضيلتكم، وليكن هذا المؤتمر منطلقاً من بلاد التوحيد بلاد الحرمين الشريفين تحت رعاية ولي أمر البلاد صاحب الجلالة الملك عبدالله بن عبد العزيز حفظه الله ورعاه، داعياً الله ﷻ لكم التوفيق والسداد والله الهادي سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

بالعلم والإيمان وعمل الرجال تتغير الأحوال

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مما لا يَخفى على كلِّ مسلم، ما تعاني منه الأمة الإسلامية مِن الشرور والفتن والمحن، وانتشار الكذب والفجور والخداع، والنفاق، إلى غير ذلك مِن الخصال السيئة التي حذَّر منها الإسلام، وبيَّن مخاطرها ومفاسدها، بالإضافة إلى ما يواجهه الإسلام مِن أعدائه بالمكيدة والخديعة، وكلُّ هذا مِن تقصير أهله مِن بيان محاسنه وفضائله وحِكَمِه وأسراره، وبراءته مما لصق به مِن الأكاذيب والأراجيف، وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكثر في الناس مجانبة الحق، وتباينت آراؤهم ومناهجهم، وعقائدهم، حتى ساد الجهل وكثر أهله في زمن أحوج ما نكون فيه مِن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، لأنّ الله ﷻ جعل الخيرية في هذه الأمة، إذا قامت بواجبها التعليمي والدعوي. قَالَ تَعَالَى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ آل عمران [110]

وقَالَ تَعَالَى:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ التوبة [71]

وقَالَ تَعَالَى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ الأعراف [165]

وهذا يدل على أنّ الناجي هو الذي ينهى عن السوء دون الواقع فيه والمداهن عليه.

وهذه الوظيفة العلمية والدعوية، هي الأساس الأعظم للدين، الذي بعث الله لأجله الأنبياء والرسل، وبإهمال الناس هذه الوظيفة، اضمحلت الديانة، وفشت الضلالة، وعم الفساد وهلك العباد، وتجرأ الفسّاق على إظهار الفسوق والفجور بلا مبالاة ولا خجل، حتى استولت على القلوب مداهنة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الأهواء والشهوات، وحل بنا ما حلّ باليهود.

قَالَ تَعَالَى:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ المائدة [78، 79]

وفي هذا غاية التشديد ونهاية التهديد، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لُعنوا في التوراة والإنجيل وفي الزبور وفي الفرقان...ثم ذمهم على ذلك ليحذِّر أن يركب مثل

الذي ارتكبوه» (1)

والأمة الإسلامية في عهد استقامتها وقوتها وعزها بدينها وتمسكها بسنة نبيها ﷺ لا تطيق أن ترى بين أظهرها عاصياً ولا معصية، فإذا رأت شيئا من ذلك لم يهدأ لها بال إلا إذا أذاقت المجرم ما يليق به وما يستحقه على قدر جريمته، تفعل ذلك غَيرةً على دينها وطلباً لمرضاة ربها.

أما إذا قصّر أهلها، وضعُفت غيرتهم، وانعدمت انعداماً كلياً في نفوسهم بدون خوف ولا خجل، رفع بذلك المجرمون رؤوسهم غير هيّـابين، ولا خجلين من أحد، مما جـعل العصاة يمرحون في ميادين شهواتهم، ويفتخرون بعصيانهم، بدون حسيب ولا رقيب، ولا يعلم هؤلاء أنهم في غاية السقوط والهمجية، وذلك لفساد عقولهم، وبعدهم عن معرفة أمر دينهم.

فوظيفة الدعوة إلى الخير، وتوجيه الناس وعظتهم وتذكيرهم إلى ما فيه صلاحهم واستقامة دينهم، هذه من مهام طائفة من الناس، تقوم بهذه الوظيفة،

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران [104]

وهذا يحتاج إلى جهد جهيد مِن تحصيل العلم الشرعي والإخلاص، مع الورع

(1) تفسير ابن كثير 2 / 132.

وحسن الخلق، حتى يتسنّى لأهله القيام بالعمل المنوط بهم من التحذير والإنذار والأمر والنهي، وتبصير الناس بدينهم وغرس العقيـدة الحقة في قلوبهم، كلٌّ على قدر استطاعته وقدرته.

وليعلم الجميع أنّه لا يقوم دين ولا يستقيم إلا بهما، وهما المقام الذي يُستجلب به النعم، ويُستدفع به النقم.

قال ﷺ:«يا معشر المهاجرين، خصال خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشى فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم مِن غيرهم، فأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ﷻ ويتحروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم شديد» (1)

فالذين يعانون من نقص هذه النعم، وتسلّط الأعداء عليهم، والتباكي على ما يحصل بالمسلمين مِن الذلّ والهوان مِن أعدائهم، عليهم بالرجوع إلى دينهم بالعلم

---

(1) رواه الحاكم والحديث صحيح.

والعمل الدعوي، وتغيير ما في القلوب من الأمراض، حتى نتخلص مِن ظلم العباد. قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ الرعد [11]

فهناك كثير من المعاصي والمنكرات، أصبحت مألوفة عند أصحاب النفوس الضعيفة، والخوف من أن تأنس القلوب بها، لأنّ الأشياء إذا توالت مباشرتها ورؤيتها، وتمكنت من القلوب، أنستها النفوس، وإذا أنست النفوس شيئا، قَلَّ أن تتأثر له، ولا يجد القلق منها إلا أهل العلم والتحقيق، العاملون بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ الحافظون لحدود الله، القائمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ﷺ:«ما مِن قوم عملوا بالمعاصي وفيهم مَن يقدر أن يُنكر عليهم فلم يفعل إلا يُوشك أن يعمهم الله ﷻ بعذاب من عنده» (1)

وقال: «ما مِن قوم يُعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه إلا عمهم الله ﷻ بعقاب» (2)

فنحن في حاجة ماسة لرجال أكرمهم الله بالعلم والعمل لإنقاذ البشرية مما هم

(1) رواه الترمذي والحديث صحيح.

(2) رواه البيهقي والحديث صحيح.

فيه من الفتن والمحن والابتلاءات، وصرف الظلم والإثم والعدوان والبغي عنهم، وهذا من أحسن الإحسان، وأي عمل خير من نفع عام؟

قال ﷺ:«إن هذا الخير خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وويلٌ لعبدٍ جعله الله مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير» (1)

فيا عبد الله: إذا أردت الفوز والفلاح في الدارين، فكن مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وكن كثير المعونة للناس على البر والتقوى، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ المائدة [2]

وإذا أردت الخلاص مما نعاني منه من المعاصي والمنكرات وانتشار الجهل واتباع الهوى، فعليك بمحاسبة نفسك، وخاصتها، ودع عنك أمر العامة.

قال ﷺ:«ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات: فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.

وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله سبحانه وتعالى في السر والعلانية.

وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السَّبرات،

(1) رواه ابن ماجه والحديث حسن.

ونقل الأقدام إلى الجماعات.

وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام» [1]

فيا عبد الله: الشقيّ مَن اتْبَع شهوتَه هواه، والسعيد مَن فوّض أمره إلى مولاه.

فتغيُّر الأحوال يتم بتغيُّر النفوس، وتغيُّر النفوس يتم بتغيُّر النوايا، وتغيُّر النوايا يتم بالإخلاص في القول والعمل، وحتى تجمع بين هذه المحاسن والطاعات، عليك بالعلم والإيمان والدعوة بالإتباع والإتقان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

---

(1) رواه الطبراني في الأوسط والحديث حسن.

التقوى أقوى

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنّ من أهم الصفات التي يتصف بها المسلم، وخاصة العلماء وطلابهم، هي تقوى الله ﷻ التي وصّى بها عباده مِن الأولين والآخرين، حيث قَالَ تَعَالَى:
﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾ النساء [131]

وقَالَ تَعَالَى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الأنفال [29]

وقَالَ تَعَالَى:

﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ الطلاق [5]

وهذه التقوى لا تتحقق للعبد إلا بإعانة الله وهدايته وتيسيره، وأنْ يواصل المسير إلى الله ﷻ، بإخلاص العمل له، مع متابعته للنبي ﷺ والجد والاجتهاد والمثابرة في طاعة الله، والحرص على طلب العلم الشريف على أيدي العلماء الربانيين، الموصل بصاحبه إلى الدرجات العلا من الجنة، وأن يبدأ بأهم المهمات (التوحيد) قبل المهم، وهذا منهج الأنبياء والرسل في دعوتهم إلى الله ﷻ.

ولهذا كان النبي ﷺ يوصي بها، فقال في حجة الوداع: «اتقوا الله وصَلّوا خمسكم وصوموا شهركم، وأدّوا زكاة أموالكم، وأطيعوا أمراءكم، تدخلوا جنة ربكم» (1)

وقال ﷺ:«مَنْ حلف على يمين ثم رأى أتقى لله منها فليأت التقوى» (2)

وقال ﷺ:«اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» (3)

وكان ﷺ «يكثر الدعاء بها، فكان يقول: «إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» (4)

والذي يزيد طالب العلم تقوى، دراسة كتب العقائد والتوحيد من مؤلفات علماء السنة الربانيين، المعروفين بالعلم والديانة والتحقيق والاستقصاء والتدقيق، والكتب المفيدة التي يستعان بها على فهم الكتاب والسنة المطهرة، مع عرضها على ما تيسر من نُقاد العلماء، أهل المعرفة والبصيرة، مِمّن عُرفوا بالتقوى والسداد وإصابة الحق، مع كثرة الدعاء والتضرع إلى رب العباد بطهارة القلب، وطيب مطعم، وصدق عزيمة، وإيقان بإجابة الله له، وحسن ظن به، لأنّه قريب مجيب

(1) رواه الترمذي والحديث حسن صحيح.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه الترمذي والحديث حسن.

(4) رواه مسلم.

الدعوات، بأن يمنحه فهماً وذكاءً واعتقاداً، وعملاً، وأخلاقاً، وآداباً، واحتراماً، وتوقيراً لأهل الفضل.

والتقوى تسمو بصاحبها إلى أعلى الصفات الحميدة: من النباهة والفطنة، واليقظة، ومعرفة العواقب وإدراكها وما تؤول إليه، والنظر بعين البصيرة إلى مَنْ يصلح ويرتضي للمصاحبة والمجالسة والمعاشرة، والمؤاكلة، ولهذا قال النبي ﷺ:«لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك ألا تقي» (1)

والعبد التقي أكرم الخلق على الله، قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات [13]

فلهذا كله يتعين على طالب العلم، ويتأكد في حقه أن يحرص غاية الحرص على كل ما يحقق التقوى من مصاحبة العلماء والمؤمنين الأتقياء الأذكياء، ممن عُرفوا بالعدالة والنزاهة والإنصاف وحسن الأخلاق والاتصاف بصفات الخير، ويجالسهم ويعاشرهم، ويأخذ العلم عنهم، ويتخلق بأخلاقهم، ويعتقد عقيدتهم ،ويسير على منهجهم، مع الحذر كل الحذر من مصاحبة الأشرار الأنذال والكذابين والنمامين، والسفهاء الغلاة المتنطعين، من التكفيريين، وغيرهم من المميعين، وأهل الترف والتنعم ،والمشتبه في حالهم، ومَنْ لا خلاق لهم مِن العُصاة

(1) رواه الإمام أحمد والحديث حسن.

والفسّاق، لأنّ مصاحبتهم داء قاتل ووباء وبلاء وعمى وهوى ،فبهذه المصاحبة يصبح حاله كحالهم، ولا ميزة فيه عنهم.

فيا طالب العلم، يا مَنْ كان رأس مالك التقوى، عليك بفعل الخيرات، واجتناب المنكرات، حتى تكون قدوة صالحة لغيرك من الناس، مع دعوتك إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، كما أمرنا ربنا ﷻ بقوله:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ النحل [125]

لعلّ الله يهـدي بك مَن شاء مِن خلقه، فيكون هذا في ميزان حسناتك يوم القيامة، وخير لك مِن حُمْر النعم، لقوله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مِن أن يكون لك حُمْر النعم» (1)

واعلم يا طالب العلم: أنّ التقوى هي الوصية النافعة، والثمرة اليانعة لأعمالك، وأن مَن اتصف بها لا يختلج في خاطره هم أو حزن أو ضيق أو فزع أو كسل، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ الطلاق [2، 3]

---

(1) رواه مسلم.

والتقوى تعصم صاحبها مِن ارتكاب المنكرات والمعاصي والآثام والمكروهات، ففيها الخير الكثير. قال ابن القيم رحمه الله: «التقوى ثلاث مراتب: أحدها: حمية القلب والجوارح من الآثام والمحرمات، الثانية: حميتها عن المكروهات، الثالثة: الحمية عن الفضول وما لا يعني»

«فالأولى: تعطي العبد حياته، والثانية: تفيده صحته وقوته، والثالثة: تكسبه سروره وفرحته وبهجته» (1) فطوبى لك يا مَن اتصفت بالتقوى، أمّا أنت يا مَن حرمت نفسك منها، فوقعت في المعاصي والمنكرات، وقلة التوفيق، وفساد الرأي وخفاء الحق، ونفرة الناس منك، ووقعت في ظلم العباد والبلاد، وحرمان العلم، ومحق البركة في الرزق والعمر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلوب والأخلاق، ويضيّعون الأوقات، والأعمار في معصية الله، مِن القال والقيل، والغفلة عن ذكر الله.

واعلم أنّ التقوى تقوى بقوتها، وتضعف بضعفها، فلا تكن سبباً في ضعفها.

وكن يا طالب العلم ممن يتقون الله في السر والعلن، في الليل والنهار، تحت الأرض وفوق الأرض، حتى تنال كرم الله، ويحفظك بحفظه ويرعاك برعايته، ويبارك لك في عمرك وعلمك ودعوتك، وأهلك ومالك، وتذكّر أنّ حفظ اللسان

---

(1) الفوائد ص 31 – 32.

مِن القال والقيل، وغيبة العلماء، مِن التقوى، والتأني وعدم العجلة في إصدار الأحكام على الناس من التقوى.

فما علينا نحن طلبة العلم إلا أنْ نتعاون مع بعضنا البعض على تحقيق التقوى، حتى تظهر على جوارحنا وأخلاقنا، وبهذا نكون قد قمنا بواجب العلم والدعوة إلى الله، على منهج الأنبياء والرسل، فحينئذٍ يستجيب الناس لدعوتنا، وتتحقق غايتنا من رضا ربنا علينا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

العزّة والشجاعة مِن شِيم أهل السنة والجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحق والعزيز اسمان مِن أسماء الله ﷻ وأمرنا الله ﷻ أنْ نعتزَّ بديننا، وأنْ نقول الحق، ولا نخشى في الله لومة لائم، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ الكهف [29]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ الأحزاب [53]

وعاب الله على مِنْ يكتم الحق خشية الناس، قَالَ تَعَالَى:

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ التوبة [13]

وقال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ الأحزاب [37]

مع أنّه ﷺ أشجع الناس، وأخشاهم لله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قِبَل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة، عرى في عنقه السيف وهو يقول: لِمَ تُراعوا، لِمَ تُراعوا» (1)

(1) رواه مسلم.

وهكذا ربّى النبي ﷺ صحابته الكرام على الإقدام والشجاعة، وعزة النفس، وهذه الصفات الحميدة هي التي أخرجت عبد الله بن أم مكتوم الأعمى للجهاد، فحمل الراية فقاتل حتى قُتل، وهي التي أخرجت عمرو بن الجموح الأعرج وهو يقول: «إني لأرجو أنْ أطأ بعرجتي هذه الجنة فقاتل حتى قُتل»

وما هذه الصفات الحميدة إلا نِتاج تربية القدوة الأول ﷺ وقول الحق يحتاج إلى شهامة وشجاعة لأنهما مِن الصفات الحميدة اللتان تتحقق بهما العزة في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، ولو أدّى إلى قتله، وهذا ناتج مِن غيرته وحبه ودفاعه عن الإسلام والمسلمين، قال ﷺ:«سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله» (1)

وهذا الموقف الشجاع يحتاج إلى علم وأدب، ومراعاة لحقوق ولاة الأمور، مِن السرّية في النصيحة والأمر والنهي، لقوله ﷺ:«مَنْ أراد أنْ ينصح لذي سلطان فلا يُبْده علانية، وليأخذ بيده فإن سمع منه فذاك، وإلا كان أدّى الذي عليه» (2)

فليس مِن الشهامة والشجاعة نصيحة ولاة الأمور علانيةً وجهراً وتشهيراً مِن فوق المنابر وفي الصحف والمجلات والبيانات والإذاعات المسموعة والمرئية.

(1) رواه الحاكم والحديث حسن.

(2) رواه أحمد والحديث صحيح.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنّه قيل له: «ألا تدخل على عثمان لتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلاّ أُسمعكم؟ والله لقد كلمتُه فيما بيني وبينه ما دون أنْ أفتح أمراً لا أحبُّ أنْ أكون أول مَن فتحه» (1)

قال عياض رحمه الله: «مراد أسامة أنّه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام لما يخشى مِن عاقبة ذلك، بل يتلطف به وينصحه سراً، فذلك أجدر بالقَبول» (2)

قال ابن النحاس رحمه الله: «ويختار الكلام مع السلطان في الخلوة على الكلام معه على رؤوس الأشهاد، بل يود لو كلمه سراً ونصحه خُفية، مِن غير ثالث لهما» (3)

هذا منهج السلف في الشجاعة في مناصحة ولاة الأمور، فلا تغترّ أيها المسلم بالمهرجين والغلاة المتنطعين من التكفيريين وغيرهم مراعاة للمصالح والمفاسد.

وللأسف الشديد البعض من طلبة العلم أصابه مرض الخوف والجبن، فهولا يقوم بواجبه العلمي والدعوي خشية الاستهزاء والسخرية، أو خوفه على ماله وراتبه، فيتغاضى عن جرائم وآثام وأخطاء حزبه وقبيلته وصُحبته، فيوقعه هذا المرض في السكوت عن إنكار المنكرات التي يرتكبها بعض الأصدقاء والأحباب،

---

(1) متفق عليه.

(2) فتح الباري 13 / 52.

(3) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين ص 64.

خشـية غضـبهم وفقدانهم وفساد علاقتهم ومودتهم، وخوفاً على المنافـع الحـزبية والمـادية التي قد تفوته، إذا قال الحـق أو نصح به.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «طالب النفوذ إلى الله والدار الآخرة، بل إلى علم وصناعة ورئاسة، بحيث يكون رأساً في ذلك مُقتدى به فيه يحتاج أنْ يكون شجاعاً مقداماً حاكماً على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيُّلِه، زاهداً في كل ما سوى مطلوبه، عاشقاً لما توجه إليه، عارفاً بطريق الوصول إليه، والطرق القواطع عنه، مقدام الهمة، ثابت الجأش لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم، ولا عذل عاذل»[1]

فيا طالب العلم، يا مَن يُقتدى بك: كُن شجاعاً في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، ولا تلتفت للمصالح والإغراءات المادية، فتقع في الذل والإهانة.

واعلم أنّ العزة والإباء والكرامة والشهامة والشجاعة مِن أبرز الخلال التي نادى بها الإسلام، فكن عزيزاً شهماً شجاعاً، حتى لا تكن مستباحاً لكل طامع، أو غرضاً لكل حاقد.

فالمسلم يرفض الذل والهوان للمجترئين عليه، وهو في هذه الحال مكلَّف أنْ يُبرز قوته، حتى يكسر شوكة المتطاولين والظالمين، وله في مثل هذا الموقف أن يعفو عمّن ظلمه، وهو مقتدر، بعد أن تنتفي علائم الضعف.

---

(1) الفوائد ص 191.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ الأعراف [199]

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ الحجر [85]

و قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النور [22]

و قَالَ تَعَالَى:

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران [134]

وكل هذا حتى يظل المسلم منتصب القامة، مرتفع الهامة، لا يذل نفسه، ولا يقبل الدنية في دينه ودنياه، ولا يعطي فرصة لأحمق حتى لا يستعلي ويستكبر.

إنّ اعتزاز المسلم بربه ودينه نابع من إيمانه وكرامته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ فاطر [10]

ومّنْ ابتغى العزة مِن غير الله، وقع في الذل والهوان.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والفرق بين العفو والذل، أنّ العفو إسقاط حقك جوداً وكرماً وإحساناً مع قدرتك على الانتقام، فتؤثر الترك رغبة في الإحسان، ومكارم الأخلاق، بخلاف الذل، فإن صاحبه يترك الانتقام عجزاً وخوفاً ومكانة نفس، فهذا مذموم غير محمود، ولعل المنتقم بالحق أحسن حالاً منه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ الشورى [39]

فمدحهم بقوتهم على الانتصار لنفوسهم وتقاضيهم منها ذلك حتى إذا قدروا على مَن بغى عليهم وتمكنوا مِن استيفاء ما لهم عليه، ندبهم إلى الخُلُق الشريف مِن العفو والصفح، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الشورى [40]
فذكر المقامات الثلاثة: العدل وأباحه، والفضل وندب إليه، والظلم وحرّمه» (1)

فيا طالب العلم: العفو والصفح عند المقدرة من أخلاق الأنبياء والرسل، فكـن شـجاعاً شهماً عزيزاً بين أهـلـك وإخوانك.

كن شجاعا في سؤال أهل العلم فيما أشكل عليك بالدليل الصحيح.

كن شجاعاً في نصرة المظلومين والمستضعفين.

كن شجاعاً في انتسابك لعقيدتك ومنهجك.

كن شجاعاً في تراجعك عن الخطأ إن ظهر لك.

كن شجاعاً في مواقفك مع أهل الأهواء والبدع مع مراعاة المصالح والمفاسد.

كن شجاعاً في مواقفك مع الغلاة والمتنطعين والمميعين.

كن شجاعاً في انتصارك للحق.

---

(1) الروح ص 141 – 142.

كن شجاعاً في أرائك وقراراتك مع التأني وعدم العجلة.

فهذه صفات أهل الشهامة والرجولة من أهل السنة والجماعة، الذين قاموا بواجبهم العلني في تعليمهم ودعوتهم للناس من غير خوف ولا جبن، لإظهار دين الله ﷻ والاعتزاز به.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

العقل قبل الكلام

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مِن النِّعَم التي أنعمها الله ﷻ علينا، نعمتي العقل والكلام، ولهذا اهتم الإسلام بموضوع الكلام، وأسلوب أدائه، لأنَّ الكلام الصادر عن إنسانٍ ما، يشير إلى حقيقة عقله، وطبيعة خُلُقِه.

وقد بيّن الإسلام كيف يستفيد الإنسان مِن هذه النعم، وكيف يوظِّفُها، لنشر الخير بين المسلمين، فينبغي أن يسأل نفسه قبل أن يتحدث للآخرين، فإنْ كان هناك ما يستدعي الكلام، تكلم، وإلا فالصمت والسكوت أولى له، وإعراضه عن الكلام حيث لا ضرورة له، أسلم له مِن الخوض فيه.

كما قال ﷺ:«مَن كان يؤمن بالله واليوم والآخر، فليقل خيراً أو ليصمت» (1)

والمسلم لا يستطيع هذا، إلا إذا ملك لسانه وضبطه، وترك ما لا يعنيه، كما قال ﷺ: «مِن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (2)

فإذا خُيِّرتَ بين الكلام والسكوت، فعليك بالسكوت، إلا في إحقاق الحق، وإبطال الباطل.

---

(1) متفق عليه.

(2) رواه الترمذي والحديث حسن.

قال الإمام الشافعي ﷺ: «إذا أراد المرء أن يتكلم فليفكر، فإذا ظهر أنَّه لا ضرر عليه تكلم، وإن ظهر أنَّ فيه ضرراً، وشك فيه أمسك»[1]

والمرء حين يريد أن يستجمع أفكاره، ويراجع أعماله، يَجنَح إلى الصمت، وهذه وسيلة ناجعة مِن وسائل التربية الخُلُقية، بل هذه صدقة تصدق بها الإنسان على نفسه، لقوله ﷺ:«كُفَّ شرَّك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك»[2]

«فعلى المسلم أن يفكر جيداً، قبل العجلة في الكلام التي يعقبها الندامة، فحينئذٍ لا تنفعه، وهذا مِن الشيطان، لقوله ﷺ:«التأني مِن الله والعجلة مِن الشيطان»[3]

قال ابن القيِّم ﷺ: «والعجلة، طلبُ أخذ الشيء قبل وقته، فهو شدة حرصه عليه، بمنزلة مَن يأخذ الثمرة قبل أوان إدراكها.... ولهذا كانت العجلة مِن الشيطان، فإنها خفّة وطيش وحدة في العبد، تمنعه مِن التـثبُّـت، والوقار والحلم، وتُوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعاً مِن الشرور، وتمنع أنواعاً مِن الخير، وهي قرين الندامة، فقَلَّ مَنْ استعجلَّ إلا ندم، كما أنَّ

---

(1) شرح النووي 2 / 19.

(2) رواه الإمام أحمد والحديث صحيح.

(3) رواه البيهقي والحديث حسن.

الكسل قرين الفوت والإضاعة» (1)

والإنسان مطبوع على العجلة، لقوله تعالى:

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ الإسراء [11]

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «مطبوعاً على العجلة» (2)

والمطلوب مِن المسلم وخاصة طالب العلم، استقامة لسانه حتى لا يقع في اللغظ وكثرة الكلام الذي لا فائدة منه، بل قد يجلب له الشرور والمفاسد، كما قال ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد، حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه، حتى يستقيم لسانه» (3)

وطول الصمت أسلم مِن كثرة الكلام، وهذا مِن حسن الخلق، لقوله ﷺ: «عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما تجمَّل الخلائق بمثلهما» (4)

ولقوله ﷺ: «عليك بحسن الكلام وبذل الطعام» (5)

---

(1) شرح النووي 2 / 19.

(2) فتح القدير 3 / 299.

(3) رواه الحاكم والحديث صحيح.

(4) رواه البيهقي والحديث حسن.

(5) رواه الحاكم والحديث صحيح.

وأهل العجلة، لضعف بين عقولهم ونطقهم، يرسلون الكلام على عواهنه، فربما قذفوا بكلمة سببت لهم الشقاوة والتعاسة، وقلة المهابة بين الناس.

والكلام الحَسَن مع الآخرين يحفظ مودتهم، ويستديم صداقتهم، ويمنع كيد الشيطان أن يفسد ذات بينـهم، لقوله تعالى:

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ الإسراء [53]

كما أنَّ حسن الكلام مع الأعداء، يطفئ خصومتهم، ويكسر حدتهم، أو على الأقل، يوقف تطور الشر منهم، لقوله تعالى:

﴿وَلَا تَسۡتَوِى ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٞ﴾ فصلت [34]

وقد يتعرض المرء لإنسان بذيء اللسان، قليل الأدب، صاحب خلق ذميم، ففي هذه المواقف على المسلم أن يضبط نفسه أمام عوامل الاستفزاز، ومنعها طوعاً أوكرهاً مِن الاستسلام لدواعي الغضب وإدراك الثأر، حتى يضيِّع الفرصة على أصحاب هذه الأخلاق السيئة، وخاصة إذا ابْتُلِيَ طالب العلم بمثل هؤلاء، لأن طالب العلم يحاسبه الناس على كل زلَّة، أو هفوة، فكن على حذر مِن هذا.

وقد فشا في عصرنا هذا مجالس للناس يتجاذبون فيها أطراف الحديث،

ويقضون أوقاتهم في تسقُّط الأخبار، وتتبع العيوب، والقيل والقال، وهذه آفات أصابت المجتمع، وقد كثُرت هذه المجالس، لغير ضرورة شرعية، وهذا الصنف من الناس لا يقف عند هذا الحد، بل يباهي به، ويستطيل على أعراض المسلمين.

فهذا الفريق الثرثار، المتقعِّر في الكلام، مِن أبغض الناس لرسول الله ﷺ لقوله: «... وإنّ مِن أبغضكم إليَّ، وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدّقون والمتفيهقون» (1)

«الثرثار»: كثير الكلام تكلفاً.

«المتشدق»: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحاً، وتعظيماً لكلامه.

«المتفيهق»: هو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسّع فيه، ويغرب به تكبراً وارتفاعاً وإظهاراً للفضيلة على غيره.

فيا طالب العلم: لا تتعجل في الكلام وإصدار الأحكام مِن قبل أن تعرضه على عقلك والشرع، فان وافق الحق وترتب عليه مصلحة، فلك أن تتكلم، وإنْ خالف الحق وترتب عليه مفسدة، فلا تتكلم، والصمت أسلم وأولى لك.

وإيّاك ومجالس الشيطان، مجالس الغيبة والنميمة، والقيل والقال، وإضاعة

---

(1) رواه الترمذي والحديث صحيح.

الوقت فيما لا فائدة فيه.

وإياك أن تكون مِمَّن يحبون الانتصار لأنفسهم، وأهوائهم، وهو عندهم أهم مِن إظهار الحق بحسن الكلام، وهذه يعدّها الإسلام خطراً على الدين والفضيلة. فالمسلم لا يسوغ له أن يفقد خُلُقه مع مَن لا خلق لهم.

وطالب العلم يلتزم في أحواله كلها، على ألاّ تبدر منه لفظة نابية، ويتحرّج أن يكون سفيهاً أو متطاولاً على الخلق، وبقدر تنزّه المسلم عن اللغو والثرثرة، تكون درجته عند الله أعظم.

فاجعل رابطة قوية بين عقلك وكلامك، حتى لا ينحدر منك الكلام متتابعاً، فيكون هناك انفصالاً بين عقلك وكلامك المسترسل، لأنّ اللسان السائب حبل مرخي في يد الشيطان، يصرّف صاحبه كيف يشاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

الكرم والجود يا طلاب العلم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكرم صفة مِن صفات الكمال لله ﷻ تليق بجلاله وعظمته، وهي صفة مِن صفات الأنـبياء والـرسل، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ هود [69]

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «في هذه الآية أدب الضيف أنْ يُعجَّل قِراه، فيقدم الموجود الميسر في الحال، ثم يتبعه بغيره إنْ كان له جدة، ولا يتكلف ما يضر به، والضيافة مِن مكارم الأخـلاق، ومن آداب الإسـلام، ومن خُلق النبيّين الصالحين» (1)

وهذا هو النبي ﷺ عندما نزل عليه جبريل عليه السلام بـ اِقرأ، وحصل ما حصل معه، قالت له خديجة رضي الله عنها:«كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك تصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقوّي الضعيف، وتعين على نوائب الحق...» (2)

«وكان ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، حتى ينسلخ، فيأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن، فإذا لقيه جبريل، كان رسول الله ﷺ

---

(1) تفسير القرطبي 9 / 66.

(2) متفق عليه.

أجود بالخير مِن الريح المرسلة»[1]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أيُّ الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على مَن عرفتَ ومَن لم تعرف»[2]

والإسلام دين يقوم على البذل والعطاء، فهو دين الكرم والجود، ولهذا حث معتنقيه أنْ تكون نفوسهم سخية، ووصّاهم بالمسارعة إلى دواعي الإحسان ووجوه البر، وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس مِن شغلهم الشاغل، فقال ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[3]

وحث النبي ﷺ على الإكرام فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه...»[4]

وهذا الكرم يحتاج مِن المسلم أن يروِّض ويعوِّد نفسه عليه، حتى تألفه النفس ويسهل عليه ممارسته والمسارعة إليه

فيا طالب العلم: إذا كنت طرّاقاً للأبواب، مُلبياً للدعوات، فلا بد أن تكون

---

(1) متفق عليه.

(2) متفق عليه.

(3) رواه مسلم.

(4) متفق عليه.

فتّاحاً للأبواب، كريماً للإخوان والأصحاب والأحباب، وهذا ما يندب إليه الإسلام، ويرغّب فيه، حتى تكون مِن السباقين للخير.

والكرم والجود، يؤلّفان القلوب الضعيفة، ويرغّبان في التآلف والتحابب، ويوطّدان العلاقة الأخوية وطالب العلم أحق الناس بالكرم والجود، حتى يكون قدوة صالحة للآخرين، وأبعد الناس عن الشح والبخل، حتى لا يكون قدوة سيئة لهم.

واعلم أنّ البخل والشح معرّتان إذا لصقتا بالإنسان أخرجته من كرامته التي فضله الله بها على سائر الخلق، ولهذا حذّر النبي ﷺ من هذه الخصال القبيحة فقال: «اتقوا الظلم فإنّ الظلم ظلمات يوم القيـامة، واتقوا الشح، فإنّ الشح أهلك مَن كان قبلكم حملهم على أنْ سفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم» (1)

وقال ﷺ:«لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا» (2)

والبخل من الأخلاق المذمومة الممقوتة، لما فيه مِن الشح في الإنفاق والحرص على كنز الأموال وجمعها، وقد يقود الفرد إلى عدم إكرام الضيف، والنفقة على الأبناء، وهذا نابع من حب المال لذاته، وعدم العلم بأهمية الإنفاق والكرم، وانه

(1) رواه مسلم.

(2) رواه النسائي والحديث صحيح.

ينمِّي المال ويزيد بركته، كما جاء في الحديث القدسي: قال ﷻ: «يا ابن آدم أنفق، أُنفق عليك» (1)

وقال ﷺ ما نقصت صدقة من مال» (2) وليعلم أنّ البخل مضر للبخيل في دينه وخلقه، وهو من خصال أهل الكتاب، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ هود [69]

قال ابن كثير ؒ: «وقد حمل بعض السلف هذه الآية على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم من صفة محمد ﷺ وكتمانهم ذلك»

وقال: «ولا شك أنّ الآية محتمِلة لذلك، والظاهر أنّ السياق في البخل والمال، وإن كان البخل بالعلم داخـلاً في ذلك بطريق الأوْلى، فإنّ السياق في الإنفاق على الأقارب والضعفاء» (3)

وقد كان النبي ﷺ يتعوذ من البخل وهو أجود الناس وأكرمهم، فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزَن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين

---

(1) متفق عليه.

(2) رواه مسلم.

(3) تفسير ابن كثير 1 / 750 – 751.

وغلبة الرجال» (1)

والإنسان بطبعه مجبول على حب المال والحرص على اقتنائه، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ هود [69]

وهذا المال الذي أنعمه الله عليك، فيه حق للسائل والمحروم، والفقير والمسكين، والضعيف والجار، فلابد أن تنجح في قمع دوافع البخل عن نفسك حتى تعودها على الكرم والجود.

فيا طالب العلم: إذا نجحت في إزاحة عوائق البخل التي تعترض طرق الخير، فقد نجحت في فضيلة كاملة من فضائل الإسلام، وخاصية من خصوصيات طالب العلم، وقتلت وساوس الشيطان الذي يعدك الفقر

قَالَ تَعَالَى:

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة [268]

وهكذا شأن العلماء في الكرم والجود، فهذا الإمام محمد بن عبد الوهاب ﵀ كان جواداً سخياً لا يرد سائلاً، ولا يخيب أبداً، فقد كان كثير العطايا، ويقوم باستقبال وإكرام الوفود والضيوف، ويتحمل الإنفاق عليهم من ماله الخاص،

---

(1) متفق عليه.

وقد يضطر أحياناً أن يستدين المال لهذا الغرض.

وهذا أبو المساكين سماحة الشيخ ابن باز ﷫ كان يطلب من والدته أن تزيد في الغداء والعشاء ثم يأخذه معه لطلبة العلم مع ضعف حالهم وفقرهم، وكان يحضر درس الشيخ محمد بن إبراهيم، فإذا انصرف من الدرس وهو في الطريق يأخذ معه مَن لقيه مِن طلبة العلم الغرباء والفقراء والمساكين، ثم يذهب بهم إلى البيت، وما وجد قدمه لهم، وكان لا يأكل طعامه لوحده أبداً، وكان يفتح أبوابه للناس ويكثر مِن قوله حيّاكم الله اليوم وكل يوم.

وهذا المحدِّث الشيخ الألباني ﷫ كان كثير الإكرام لطلابه، فكنا نخرج معه وأهلنا وأولادنا في رحلاته العلمية، فيقدم لنا الطعام والشراب من ماله الخاص، وكثيراً ما كان يقدم المساعدات المادية والعينية للطلبة المحتاجين من الغرباء وغيرهم.

وهذا العلامة الشيخ ابن عثيمين ﷫ كان يفتح بيته ويجلس مع طلابه على مائدة الإفطار في رمضان، بل كان يخدمهم بنفسه، وكان ﷫ مكرماً للناس، مكرماً للضيوف.

وهذا محدث الديار اليمنية، الشيخ مقبل الوادعي ﷫ كان متحلياً بالسخاء والكرم رغم قلة ذات اليد، فهو ينفق ما رزقه الله في وجوه الخير، وكان يقدم طلبة

العلم في الإكرام على من سواهم، لأنهم أحق في نظره من الآخرين.

وكنتُ زرتُه في مرضه الذي توفي فيه في مكة، فاستقبلنا أحسن استقبال، وأكرمنا أحسن كرم بالعلم والشراب.

وهذا حامل لواء الجرح والتعديل، شيخنا وأستاذنا ربيع المدخلي – حفظه الله – كان أحب إليه إكرام طلبة العلم، وهذا ما شاهدته في زيارتي العلمية المتكررة إليه، فكان يشاركنا في طعام الإفطار وغيره على مائدته في بيته مع عشرات الطلاب، بل كان يصرُّ على مشاركتي معه وبجانبه لتناول الطعام والشراب.

فيا طالب العلم، ها هم سلفك الصالح، وهذه صفاتهم، فكن على ما هم عليه من الخصال الحميدة، والأخلاق الكريمة في القول والعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

ثمرة مجالسة الأخيار والصالحين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الإنسان بطبعه خُلِق اجتماعياً، لا يستغني عن أحد مِن البشر، فجاء الإسلام بالترابط الإيماني الأخوي بين الناس على أساس الدين، الذي له الأثر العميق في توجيه النفس والعقل، والفرد والمجتمع، ولذا اعتنى الإسلام بهذه الصّلات، والعلاقات التي تربط المسلم بأشخاص يؤثِّرون فيه، ويتأثّر بهم، ويقتربون منه، ويقترب منهم، ويستفيدون منه، ويستفيد منهم، فقال تعالى:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ الزخرف [67]

وحثّنا النبي ﷺ على مصاحبة الأخيار المؤمنين مِن العلماء والصالحين، فقال: «لا تصاحب إلا مـؤمـنـاً ولا يأكل طعامك إلا تقي» (1)

فالصاحب المؤمن هو الذي يعينك على طاعة الله، فإذا رآك قصَّرت في طاعة، ذكّرك بها، وإذا وقعتَ في معصية، حذّرك منها، وإذا استشرتَه في أمر، أشار عليك بما هو خير، وإذا استنصحته، نصحك بالمعروف، وإذا استعنت به، أعانك.

ولهذا يترتب على ذلك مِن الخير الكثير، الذي جاء به الإسلام، مِن التجمع

---

(1) رواه الإمام أحمد والحديث حسن.

والأُلفة، والمحبة والتعرّف على الناس، والاختلاط الحسن بما يصلح شأنه كله، وعلى هذا الأساس نتخيّر الأصحاب الأتقياء الأذكياء، ونرغّب في الصداقات والعلاقات الأخوية، بعيدين كلَّ البعد عن الأغراض الدنيوية، وأن تكون خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى.

لقوله ﷺ:«مَن أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان» (1)

فمثل هؤلاء الصحبة، قد ترفع بالإنسان إلى حسن الخلق، والمعاملة الحسنة، وتحميه مِن الأخلاق السيئة، ولذا احتفى الإسلام بمشاعر الصداقة النقية، والأُخُوَّة الصادقة، ورغّب المؤمنين في إخلاصها لله، والاعتماد على قوة العقيدة وسمو الأعمال الصالحة، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ الكهف [28].

ومن هنا كان المسلم مطالباً بأَن يُحسن اختيار الأخلاء والمجالس التي لا تزيد إلا إيماناً وصلاحاً وتقوى وبصيرة، وأن يعرض عن رُفقاء السوء مِن شياطين

---

(1) رواه أبو داود والحديث صحيح.

الإنس والجن، وعن مجالس الفُحش والمعصية، التي تُظلم فيها النفوس وتموت فيها القلوب ويَكثر فيها اللغط والغيبة والنميمة وإثارة الشحناء والبغضاء بين المسلمين.

ولهذا كان عبد الله بن رواحة ﵁ إذا لقي الرجل مِن أصحاب رسول الله ﷺ قال: تعال نؤمن بربنا ساعة، فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: «يا رسول الله: ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة، فقال النبي ﷺ: يرحم الله ابن رواحة، إنه يحبّ المجالس التي تتباهى بها الملائكة ﵈» (1)

والأواصر الإيمانية بين الإخوة سرعان ما تتجاذب الأرواح إليها، وهذا مصداق قول النبي ﷺ«الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» (2)

والمسلم إن كان يحب النفع للناس كافة فهو لنفع نفسه وأصدقائه أحب.

لأجل ذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ يجعلون مِن هذا النفع، والتواصي بالحق والتعاون على الخير، سياجاً يحفظ ما بينهم من وُد ومحبة، وتقرّبهم إلى ربهم

---

(1) رواه أحمد بإسناد حسن.

(2) رواه البخاري.

بالطاعة والتراحم.

وأثر الصديق في صديقه عميق، ومِن ثم كان لزاماً على المرء أن ينتقي إخوانه وأصدقاءه، حتى يطمئن على علاقاته معهم، ولهذا قال النبي ﷺ:«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم مَن يخالل» (1)

فمثل هؤلاء الجلساء، الذي يجب على المسلم أنْ يستمسك بهم، ويحرص على مودتهم، لأنهم قرناء الخير، الذين يقودون الصديق إلى النجاح في الدنيا، والفوز والفلاح في الآخرة، ولذا حثّ النبي ﷺ على اختيار الجليس الصالح فقال: «مَثل الجليس الصالح كمثل العطار، إن لم يُعطِكَ مِن عطره، أصابك مِن ريحه» (2)

فإذا كان هذا مع الجليس الصالح الذي تجتمع به في لقاء عابر في ساعة يسيرة مِن ليل أو نهار، فكيف بك مع صاحب العمر الذي يخالطك في السراء والضراء؟ ففي مثل هذه المجالس تزكو الروح، ويصفو القلب، وهي ليست شعارات تُرفع، ولا يُقصد بها الإعلام والدعاية، وإنما هي رابطة إيمانية، لها التزاماتها وتكاليفها وحقوقها، وإننا لنجد أثر هذه المجالس في حياتنا، وثمرتها تتحقق في نفوسنا، وتظهر على جوارحنا، ومِن هذه الثمرات:

---

(1) رواه الحاكم والحديث حسن.

(2) رواه أبو داود والحديث صحيح.

- أنّ مجالسة الصالحين تشمله بركة مجالسهم وإن لم يكن عمله مثلهم، فعن أبي ذر أنه قال: «يا رسول الله، الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم؟ قال: إنك يا أبا ذر، مع مَن أحببت، قال: فإني أحب الله ورسوله، قال: أنت يا أبا ذر مع مِمَن أحببت» (1)
- الجليس الصالح يدلُّك على عيوبك، وجهات النقص عندك، لقوله ﷺ:«المؤمن مرآة أخيه، إذا رأى فيه عيباً أصلحه» (2).
- الجليس الصالح يعرّفك على آخرين مِن أهل الخير والعلم فتنتفع بهم، لقوله ﷺ:«مَن دلّ على خير فله مثل أجر فاعله» (3)
- إذا جالست الصالح تأدبتَ بمجلسه وتخلّيت عن المعصية مراعاةً لمكانته وتقديراً لمنزلته، فيكون في هذا التخلي الدائم عن المعاصي في حضرة الرجال، الذين يجلُّهم، ويحرص على استرضائهم، بضبط سلوكه ضبطاً محكماً، وهذا مِن سجية الإنسان، فيتكلم بقدر، ويتصرف بحذر.
- مجالسة أهل الخير فيها حفظاً للوقت الذي هو الحياة.

---

(1) رواه ابن حبان والحديث إسناده صحيح.

(2) رواه البخاري في الأدب المفرد والحديث حسن الإسناد.

(3) رواه أبو داود والحديث صحيح.

- الجليس الصالح يدلُّك على أمور كنت غافلاً عنها، ومتكاسلاً عن أدائها، ويرشدك إلى كثير مِن النوافل التي تزداد بها خيراً
- الجليس الصالح يحفظك في غيبتك ويدافع عنك، ولا يُفشي لك سراً، لقوله ﷺ:«خيرُ الأصحاب عند الله، خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله، خيرهم لجاره» (1)
- الجليس الصالح تنتفع بدعائه بظهر الغيب في حياته وبعد مماته، لقوله ﷺ:«إن دعوة المرء المسلم مستجابة لأخيه بظهر الغيب، عند رأسه مَلَك موكَّل، كلما دعا لأخيه بخير، قال: آمين، ولك بمثله» (2).

وقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه: «إن دعوة الأخ في الله تُستجاب» (3)

- مجالسة الصالحين وزيارتهم تؤدي إلى محبتهم في الله، لقوله ﷺ:«أنّ رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله سبحانه وتعالى على مدرجته مَلَكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه مِن نعمة تَرُبُّها عليه؟، قال: لا، غير أني أحببتُه في الله سبحانه وتعالى، قال: فإني رسول الله إليك بأنّ الله قد

---

(1) رواه الترمذي والحديث صحيح.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه البخاري في الأدب المفرد والحديث صحيح الإسناد.

احبّك كما أحببتَه فيه»[1]

- مجالسة الصالحين ترقّق القلوب وتزيل الأحقاد والغلّ والحسد وتُعين على الأعمال الصالحة، فعن عبد الله بن عمرو قال: قيل يا رسول الله ﷺ: «أيُّ الناس أفضل؟ قال كل مخموم القلب، صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ ولا حسد»[2]

والرجل الذي يخجل مِن الظهور برذيلة أمام الآخرين، لا تزال فيه بقية مِن خير، على أن الإنسان ينبغي أن يخجل مِن نفسه كما يخجل مِن الناس، فإذا كره أن يَرَوه على نقيصة، فليكره أن يرى نفسه على مثلها، ومِن ثم، كان لزاماً على المسلم أن يتقرب مِن مجالسة أهل التقوى والصلاح، حتى يشعر الإنسان بأنّ إخوانه ظهر له، في السرّاء والضّراء، وأنّ قوته لا تتحرك في الحياة وحدها، بل إنّ قوى المؤمنين الصالحين تساندها وتشدُّ أزرها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه ابن ماجه والحديث صحيح.

نحن كما نحن

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدعوة السلفية، هي دعوة الأنبياء والرسل، وعقيدتها ثابتةٌ راسخة، وهي مستقرة في نفوس أصحابها، خالدة إلي قيام الساعة، وهي محفوظة بحفظ الله لها، وصالحة لكل زمان ومكان، ولا تصلح حياة القلوب إلا بها، ولم يتطرّق إليها التحريف والتبديل، أو الزيادة أو النقص.

وهذه الدعوة المباركة ثبتت أمام التحديات والضربات المتتالية التي يقوم بها أعداء الإسلام مِن الكفار والمنافقين والمبتدعين وغيرهم مِن العصاة والفسَّاق مِن المسلمين المنحرفين. قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ الصف [8]

وما قاله النبي ﷺ معلماً ومرشداً في زمانه، ما زال محفوظاً إلى يومنا هذا، وسيبقى إلى يوم القيامة، لأنها دعوة أرادها الله ﷻ لنبيه ﷺ ولأمّته مِن بعده إلى قيام الساعة، وهذا الفضل يعود لله تبارك وتعالى ثم لعلماء هذه الدعوة.

وهي دعوة متميزة في عقيدتها ومنهجها وأخلاقها وسلوكها وآدابها، فلا مكان فيها للاضطراب والتناقض

واللّبس، لأنها وحي مِن عند الله ﷻ لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا مِن خلفه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء [82]

وكتب الله ﷻ لهذه الدعوة النجاح والاستمرارية إلى قيام الساعة، فحفظها مِن الهُراء والشبهات والتخرّصات، فلا تعقيد فيها ولا التواء، فهي واضحة، ومعانيها بيّنة، وهي بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وأما العقائد والدعوات الأخرى التي خالفت عقيدة ودعوة الأنبياء والرسل، لم يَكتب اللهُ ﷻ لها النجاح والاستمرارية، لأنها تحكمها الأهواء والعقول، فهي أوهام وتخر صات، وبعضها يبطل بعضا، وأهلها في غاية التناقض، بل تجدُ الواحد منهم متناقضاً مع نفسه، ولهذا قال بعضُهم: «لو اجتمع عشرةُ نصارى لتفرقوا عن أحدَ عشرَ قولاً، وقال آخر: لو سألتَ بعضَ النصارى وامرأتَه وابنَه عن توحيدهم، لقال الرجلُ قولاً، وامرأتُه قولاً آخر، وابنُه قولاً ثالثاً» (1)

بل إنهم أنفسهم لا يتفقون على أصولهم، بل إنّ الفرقة الواحدة مِن هذه الدعوات، لا يتفق أفرادها كلَّ الاتفاق على أصل مِن أصولهم، بل لا يجتمع اثنان مِن رؤسائهم على أمر واحد في الدين.

فهذه العقائد والدعوات الباطلة لا تمتلك سِمة الخلود والاستمرارية، وإنْ عظُمت واستحسنت، فهي قابلة للزوال والفناء، لأنها مِن صنع البشر وزبالات

(1) الجواب الصحيح 2/ 155.

أذهانهم، وعقولهم القاصرة، وهي لم تتأسس على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله.

وما تصدّع كيان الأمة، وتفرقت كلمتها، وتسلّط الأعداء عليها، إلا بانحرافها عن عقيدتها وفساد منهجها، فلم يسْلَم أهلها مِن اتّباع الهوى، والتخبط في توزيع الولاء والبراء، والمحبة والبغضاء، فترتب على ذلك التشتت، والتشرد، والضياع، فلا يفرّقون بين مَنْ يوالون ومَنْ يعادون.

فهذا الانحراف في العقيدة والمنهج، نتج عنه الانحراف في السلوك والأخلاق والمعاملة، فلا أمن، ولا سعادة في الدارين، ولا عزّة ولا كرامة لأهلها، لأنهم طلبوا العزة مِن غير العزيز، والتجأوا إلى غير الله مِن البشر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴾ مريم [81]

وقَالَ تَعَالَى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ النساء [139]

ونحن أهل السنة والجماعة، أكثر الناس، وأحرصهم على التمسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وأبعدهم عن التغيير والتبديل، والحيرة والاضطراب والتخبط والتناقض.

وما اجتمعت قلوبنا، وحبنا لبعضنا البعض إلا بتمسكنا بعقيدتنا وسنة نبينا ﷺ.

قال الإمام الزهري رحمه الله: «كان مَنْ مضى مِنْ علمائنا يقول: الاعتصام بالسنة النجاة»[1]

وقال أبوبكر المروذي رحمه الله: «قلت لأبي عبد الله: مَنْ مات على الإسلام والسنة مات على خير، فقال لي: اسكت، مَنْ مات على الإسلام والسنة مات على الخير كلّه» [2]

ورحم الله أئمة هذه الدعوة وعلمائها ومشايخها. مع ما تعرضوا له مِن الفتن والمحن والابتلاءات إلا أنَّ الله عز وجل عصمهم مِن هذا كله.

فهذا الإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب والشيخ الألباني والشيخ مقبل الوادعي ماتوا على صحة المعتقد وسلامة المنهج، بلا تبديل ولا تغيير.

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية عندما اقتِيدَ إلى السجن، فقال كلمته المشهورة «ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنَّتي وبستاني في صدري، أين رحتُ فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خُلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي مِن بلدي سياحة» [3]

---

(1) مجموع الفتاوى 4 / 57.

(2) المناقب لابن الجوزي ص 180.

(3) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب 2 / 402.

وقال أيضا: «إنّ في الدنيا جنة مَنْ لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة» (1)

قَالَ تَعَالَى:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ابراهيم [27]

قال الإمام السعدي رحمه الله في تفسير الآية: «يُثبتهم الله في الحياة الدنيا عند وُرود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة، على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها» (2)

فعقيدتهم واحدة، ومنهجهم واضح ثابت لا يتغير، فسَلِموا بذلك مِن التشتت والتشرد والضياع، وبذلوا كل غال ورخيص في سبيل تثبيت هذه الدعوة، وتوحيد دعائمها، غير مبالين بما يصيبهم مِن أعدائهم، فهم بحق أهل التقوى والإيمان.

ونحن ولله الحمد مِن طلاب ودعاة هذه الدعوة السلفية المباركة، عقيدتنا هي عقيدتهم، ومنهجنا هو منهجهم، وقد تعرضنا للفتن والمحن والابتلاءات، وعُرِضت علينا المناصب والإغراءات، ولكنّ الله عصَمنا مِن هذا كلّه، فالفضل لله جل وعلا ثم لعلمائنا ومشايخنا الذين قاموا بواجب العلم والدعوة والصبر على

---

(1) الوابل الصيب لابن القيم ص 69.

(2) تيسير الكريم الرحمن ص 425

طلابهم، وترفقوا بهم، حتى أثمرتْ دعوتُهم، وها هي آثارُهم في شتى بِقاع العالم، علماً وتعليماً، ودعوة، وندعو الله ﷻ أنْ يُميتنا على ما نحن عليه مِن صحة المعتقد وسلامة المنهج.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

هَلْ مِنْ مُستجيب

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مِن أبرز وأهم صفات المسلم الصادق مع ربِّه، والمخلص لدينه، المتّبع لهدي نبيِّه ﷺ حبه لإخوانه، وصدقه معهم، وإيثارهم على نفسه، وكل هذه الصفات لابدّ أنْ تكون مِن أجل الله ﷻ مجردة عن كل منفعة دنيوية، بريئة مِن كل غرض دنيوي، فهذه الرابطة الأخوية، هي رابطة الإيمان بالله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات [10]

وأخّوة الإيمان أوثق روابط النفوس، وأمتن عُرى القلوب، وأسمى صلات العقول والأرواح، فبهذه الرابطة تتحقق حلاوة الإيمان.

قال ﷺ:«ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان، أنْ يكون الله ورسوله أحبُّ إليه مما سواهما، وأنْ يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله وأنْ يكره أنْ يعود في الكفر بعد أنْ أنقذه الله منه كما يكره أنْ يُقذف في النار» (1)

ومِنْ ثمرة هذه المحبة الإيمانية، أنها ترفع مِن مقام المتحابين في الله، وتظلهم تحت عرش الرحمن، قال ﷺ:«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.... ورجلان

(1) متفق عليه.

تحابّا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه....»[1]

وكفاهم شرفاً أنَّ ربَّ العزة يحفل بهم يوم الحشر فيقول: «أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»[2]

ويقول: «المتحابون في جلالي لهم منابر مِن نور يَغبِطهم النبيون والشهداء»[3]

وهذه المحبة لا تتحقق إلا مَنْ صفت نفوسهم، وسمت أرواحهم، وهانت عليهم الدنيا بجانب مرضاة الله، وارتفاعهم عن مشاغل الدنيا وحطامها، وما أعظم هذه المحبة إذا كانت مِن اجل الله، بل قرر النبي ﷺ أنّ أفضل الأخوَين المتحابيْن في الله مِن أشد حباً لأخيه، فقال: «ما تحابَّ رجلان إلا كان أفضلهما أشدُّ حباً لصاحبه»[4]

ومِن حرصه ﷺ على هذه المحبة أنّه كان لا يَدَعْ مناسبة إلا ويدعُو المسلمين إلى التحابب، ويأمرهم أن يعلنوا هذا التحابب، لتنفتح مغاليق القلوب، وتشيع المودة والألفة والمحبة والصفاء بين الصفوف، فعن أنس رضي الله عنه أنّ رجلاً كان عند النبي ﷺ

---

(1) متفق عليه.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه مسلم.

(4) رواه الحاكم والحديث صحيح.

فمر به رجل فـقال: يا رسول الله، إني لأحب هذا فقال له النبي ﷺ«ءأعلمتَه؟ قال: لا قال أَعلِمْهُ فلحـقه فقال: إني لأحبك في الله، فقال: أَحبَّك الله الذي أحببتني مِن أجله» [1]

وكان ﷺ «يفعل ذلك بنفسه معـلـماً ومرشـداً المسلمين، حتى يتحقق التوادّ والتـآخي، وذلك عندما أخذ بيد معاذ وقال له: والله إني لأحبك...» [2]

وجعل النبي ﷺ المحبة مِن أسباب دخول الجنة، فقال: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» [3]

وكل هذا مِن أجل انتزاع الحسد مِن النفوس والحقد مِن الصدور، حتى ينتفي منها الكيد والغل والتباغض، ولذلك دعا إلى إفشاء السلام بين الإخوة لتتلاقى القلوب، على الخير والمحبة.

وبهذه المحبة الصادقة استطاع المسلمون الأوائل التماسك والثبات على دين الله، وبنى بها النبي ﷺجيل الإسلام الأول الذي بلغ الرسالة ونشر تعاليمها في

---

(1) رواه أبو داود والحديث حسن صحيح.

(2) رواه أحمد بإسناد صحيح.

(3) رواه مسلم.

الخافقين.

والمسلم الحق الواعي أحكام دينه، يعلم أن الإسلام الذي دعا إلى المحبة، والتواصل والتعاطف والتراحم والتواصي، هو الذي حرّم التباغض والقطيعة والهجر بين المتحابين الصادقين، وذلك لأنّ عروة الحب في الله أوثق وأقوى مِن أنْ تنقطع مِنْ أول ذنب أو خطأ يقترفه أحدهما.

قال ﷺ:«ما توادّ اثنان في الله ﷻ أوفي الإسلام، فيفرق بينها أول ذنب يحدثه أحدهما» (1)

فمَن منا لا يخطئ، ومَن منا لا يذنب، وهذه طبيعة النفس البشرية، وأنها عرضة لنزوات الغضب، وتقلّبات العاطفة في لحظات الضعف، فلا نجعل هذا مِن أسباب الفُرقة والاختلاف، والمسلم الصادق لا يصبر على هجر أخيه ومخاصمته، مهما تكن الأسباب، بل يسارع إلى مصافحته والتسليم عليه، لأنّ خيرهما الذي يبدأ بالسلام، فإنْ ردّ عليه السلام اشتركا الاثنان في أجر المصالحة، وإن لم يردّ عليه فقد بريء المسلم مِن إثم القطيعة والهجر، وباء الممتنع عن رد السلام وحده بالإثم.

قال ﷺ:«لا يحلّ لأحد أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان، فيصدّ هذا

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد والحديث صحيح.

ويصدّ هذا، وخيرهما الذي بدأ بالسلام» (1)

وكلما زادت مدة القطيعة والهجر زاد الإثم واشتد الوعيد للمتخاصمين المتنازعين.

كما قال ﷺ:«مَن هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه» (2)

ولهذا جاء الوعيد شديداً لأولئك أصحاب القلوب القاسية، الملتوين عن جادة الإسلام الخُلُقية، المحجوبين عن بشاشته وسماحته، بإصرارهم على الهجر والقطيعة، ويحجب عنهم رحمته ومغفرته، ويغلق دونهم أبواب الجنة، لقوله ﷺ:«تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيُقال أَنظروا هذين حتى يصطلحا، أَنظروا هذين حتى يصطلحا، أَنظروا هذين حتى يصطلحا» (3)

والمسلم الحق إذا مسّه الغيظ مِن أخيه، كظمه وما أسرعه إلى العفو عنه والتغاضي عن زلته، ولا يرى في صفحه عن أخيه ذلاً يحيق به، ولا عاراً يلبسه، بل يرى فيه إحسانا يقرّبه مِن الله زُلفى، ويكسبه محبته التي خصّ بها المحسنين مِن عباده.

---

(1) متفق عليه.

(2) رواه أبو داود والحديث صحيح.

(3) رواه مسلم.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ آل عمران [134]

وتواضع المسلم لأخيه المسلم وعفوه عنه، مبتغياً بذلك مِن الله العزة، والرفعة، كما قال ﷺ:

«ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» (1)

إن الحقد لا مكان له في قلب العبد المسلم، الواعي توجيهات دينه، ذلك أنّه يدرك قيمة العفو، وصفاء القلب في مغفرة الله له.

وأنّه لحريٌّ بنا نحن طلبة العلم بعد هذا كله أنْ نكون مِمَّن تخلّقوا بأخلاق النبي ﷺ، وأن نواجه بعضنا بعضا، ببشاشة الوجه، مبتسمين فرحين، بما أكرمنا الله ﷻ به مِن المحبة الصادقة.

فبشاشة الوجه خليقة حسنة حضَّ عليها الإسلام وجعلها مِن الأعمال الصالحة التي تُكسب صاحبها المثوبة، والأجر لأن الوجه الطليق الصافي، مرآة القلب النظيف الصافي، وهذا الصفاء لابدّ أن يظهر على أخلاقنا ومحبتنا، كما قال

(1) رواه مسلم.

ﷺ:«تبسمك في وجه أخيك لك صدقة» (1)

وهكذا النبي ﷺ ،ما كان يقع بصره على أحد مِن صحابته إلا ابتسم له ،وهذا ما حصل مع الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي، قال: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا ابتسم»(2)

لقد حبّب الإسلام إفشاء السلام، والمصافحة والمعانقة عند تلاقي الإخوة، إذا قدموا مِن سفر، لتبقى أسباب الودِّ بين القلوب، والمحبة بين النفوس، فهل من مستجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

(1) رواه الترمذي والحديث صحيح.

(2) متفق عليه.

فإذا عرفت فالزم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مِن صفات طالب العلم الداعية إلى الله، الصدق والأمانة فيما يخبر به عن ربه وعن رسوله ﷺ دون زيادة أو نقصان، هذا بجانب أخلاق كثيرة تتفرع مِن هذه الأخلاق، كالصبر والحلم والأناة والعفاف والرفق واللّين والتواضع والصلاح والمناصحة والمخالطة والاستقامة، والابتعاد عن الأخلاق الذميمة، كالكذب والخيانة والفجور والغلو والتنطع والغرور والتعالي والتعاظم والعزلة إلى غيرها مِن أمثالها، ومَنْ كانت هذه صفاته، فلا يُؤخذ عنه العلم، ولا يصلُح أن يكون مِن الدعاة إلى الله ﷻ.

ولهذا امتدح الله ﷻ نبيه ﷺ بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم [4]

وهذا ما كان يُلقب به النبي ﷺ قبل الرسالة بالصادق الأمين، وهاتان الصفتان مِن أفضل الصفات الحميدة التي تتوفر في الداعية إلى الله ﷻ.

وهذه الصفات لا تتحقق إلا بالاهتداء بهدي النبي ﷺ والاقتداء به، ثم بسلف هذه الأمة، الذين هم الحجة والقدوة، ولأنهم نقلوا لنا الدين كاملاً عن النبي ﷺ، علماً وعقيدةً ومنهجاً وأخلاقاً وسلوكاً وعملاً وهدياً، مع الاستفادة مِن

سمتهم وهديهم وأخلاقهم، مع احترامنا لعلمائنا ومشايخنا وإجلالهم وتوقيرهم، والتأدب معهم، والذبُّ عنهم، وتلقي العلم عنهم، والرجوع إليهم عند التنازع، وذكر فضائلهم وقَدرهم ومكانتهم بين الأمة.

وقد توعد الله ﷻ مَنْ خالف سبيلهم، وذلك لمكانتهم، فقال:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ النساء [115]

فإذا حافظ طالب العلم على هذه الأخلاق، واتصف بها، سلِم بإذن الله مِن الوقوع في البدع والأهواء والخرافات والجهل والظلم والهلكة والتفرق والاختلاف والشعارات والحزبيات والقبليات والولاءات والتصدر للعلم والفتوى قبل التأهل.

وللأسف الشديد هناك طائفة من الذين تنكّروا لأهل الفضل والعلم، يتعالمون ويتعالون على مَن لهم فضل عليهم بعد الله ﷻ مِن العلماء والمشايخ وطلاب العلم، بمجرد ما يحصِّل الواحد منهم بضعة نصوص، ويقرأ شيئاً مِن الكتب، يجعل من نفسه إماماً للناس، يُفتي ويحكم ويخطئ، وسبب ذلك التلقي عن الكتب بدون شيخ، والاعتماد على الأخبار من الشبكة العنكبوتية بدون تثبت وبدون الرجوع لأهل العلم والأخذ عنهم، فظنوا أنهم يعلمون شيئاً كثيراً، وهم يفقهون القليل ويجهلون الكثير، فهؤلاء أضاعوا أوقاتهم في القيل والقال، واللمز

والطعن في الذين ورثوا العلم عن الأنبياء، كما قال ﷺ:«...وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[1]

فهذا الفضل العظيم لمن تضع الملائكة أجنحتها له، ويستغفر له مَنْ في السماوات والأرض، والحيتان في جوف الماء، وفضله على العابد، وأنت الجاهل تطعن وتلمز فيه في جوف الليل ووضح النهار، ولم تراع مكانته وفضله، وهذا السبيل كان سبباً في التفرق بين الأخوة والأحباب أصحاب العقيدة الواحدة والمنهج الواحد، مع كثرة ما كان يحذر منه العلماء.

قال شيخنا ربيع المدخلي – حفظه الله -: «فإنا نرى كثيراً من الشباب لا يتورعون من الكذب ولا من تمزيق أعراض الدعاة السلفيين أهل الحق، لا دعاة التحزب والباطل، يمزقون أعراضهم ويشوهونهم بالأكاذيب وبالافتراءات...» [2]

والكذب صفة ذميمة لا تليق بابن الشارع، فكيف بمن ينتسب للدعوة المباركة، فمن باب أولى أن يترفع عن هذه الخصلة السيئة، وهذا الكذب ابتُلِيَ به الغلاة من

(1) رواه أحمد والحديث صحيح.

(2) التمسك بالمنهج السلفي ص 12 – 13.

التبديع حتى بلغ بهم تبديع أهل السنة بغير حق مِن علـمائهـم وإخوانهم، وأدى بهم إلى هجرهم والتحذير منهم، وهذا هو الظلم الشنيع والتعدي المقيت.

قال الشيخ الفوزان – حفظه الله -: «فإنّ ظاهرة التبديع إنما جاءت على لسان بعض الجهال أو المبتدئين في طلب العلم، لأنهم يعتبرون المتأول والمقلد مبتدعاً، بل أظهروا هذه المقالة، وصـار بـعضـهم يبدع بعضا فتعـادوا وتقاطعوا وتدابروا» [1]

فالتهاون في التبديع بغير سبب جارح وخاصة في طلاب العلم السلفيين المشهورين بالعلم الشرعي، ولهم قدم راسخ في الدعوة إلى الله على منهج الأنبياء والرسل، عقيدةً ومنهجاً وسلوكاً وأخلاقاً وآداباً وتأليفاً وغيرةً على السنة، فمثل هذا المتهاون لم يسلم مِن لسانه إلا مَنْ كان على شاكلته، فهو إما جاهل يحتاج إلى تـعليم، أو صاحب هوىً مفتون.

ولهذا قال الشيخ الفوزان –حفظه الله-: «ولهذه الأمور يجب على شباب المسلمين وخاصة طلاب العلم أن يتعلموا العلم النافع مِن مصادره وعلى أهله المعروفين به، ثم بعد ذلك يتعلمون كيف يتكلمون، وكيف ينزلون الأمور منازلها، لأن أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً قد حفظوا ألسنتهم فلم يتكلموا إلا بعلم» [2]

(1) محاضرات في العقيدة والدعوة 2 /384.

(2) المصدر نفسه 2 /388.

والكذب تظهر مِن خلاله الخيانة وتسقط به المروءة، وهو ناتج عن تراكم مجموعة من الأخلاق المذمومة كالحسد والحقد والغيرة وقلة الورع والدين.

والكاذب يقلب الأمور، ويُغيّر الواقع، ويزوّر الحقائق، فتصير المحاسن عيوباً والعيوب محاسن، ويجعل الحسن قبيحاً، والقبيح حسناً، وينسب للناس خلاف ما قالوه أو فعلوه، خيانةً وفجوراً منه للطعن في طلاب العلم السلفيين.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ النحل [105]

وعند ملازمة الكذب ومداومة الاتصاف به يصبح المرء متصفاً بصفة من صفات أهل النفاق، فيأخذ بصاحبه إلى الفجور والنار، قال ﷺ محذراً منه: «... وإياكم والكذب فإنّ الكذب يهدي إلى الفـجـور وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذب حتى يُكتب عند الله كذّاباً» (1)

وقال ﷺ:«آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب وإذا أوعد أخلف وإذا ائتُمن خان» (2)

قال الإمام النووي رحمه الله: «وقد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على تحريم

---

(1) متفق عليه.

(2) متفق عليه.

الكذب في الجملة، وهومِن قبائح الذنوب وفواحش العيوب، وإجماع الأمة منعقدٌ على تحريمه مع النصوص المتضافرة» [1]

والعجب أنّ الواحد مِن هؤلاء يفتري الكذب قصداً على بعض إخوانه من طلاب العلم السلفيين انتصاراُ لنفسه أو لفئته، ويسوّغ لنفسه هذا الفعل القبيح وهو يعلم أنّ صاحبه بريء ويُصرّ على ذلك.

قال ابن القيم ﵀: «إيّاك والكذب، فإنه يفسد عليك تصور المعلومات على ما هي عليه، ويفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس، فإنّ الكاذب يصوّر المعدوم موجوداً، والموجود معدوماً، والحق باطلاً، والباطل حقاً، والخير شراً ،والشر خيراً، فيفسد عليه تصوره وعلمه عقوبةً له، ثم يصوّر ذلك في نفس المخاطب والمغترّ به، الراكن إليه، فيفسد عليه تصوره وعلمه....» [2]

فكيف يكتب الله ﷻ لمن هذه صفته النجاح والتوفيق والسداد والقبول في الأرض.

وحب الظهور والشهرة ظاهرة نفسية مرَضية، وهي بدرجات متفاوتة عند الناس، فمنهم مَن اعتاد عليه واتخذه مطية له للوصول إلى غايته مِن السب

(1) الأذكار ص 324.

(2) الفوائد ص 152.

والشتم والطعن والتحذير لإسقاط الآخرين مِن الثقات والدعاة وطلاب العلم السلفيين، ومنهم مَنْ يُخفي الحق بتحريفه أو ببتره، ويعطيك ما يوافق هواه لصرف الناس عن دعوة الحق مِن أجل هذه المخاطر والمفاسد كان التحذير من الكذب بالغاً، والعقوبة المترتبة على فعله في غاية الشدة، حتى يكون المسلم، وخاصة طالب العلم أبعد ما يكون عن هذه الآفة المهلكة.

فيا طالب العلم، يا مَنْ وقعتَ في هذه الكبيرة: -

اتقِ الله ﷻ وليكن شعارك، الصدق والأمانة، ولا يكن الكذب والخيانة.

وكُنْ سمّاعاً للحق، أميناً في النقل.

وتذكّر تحذير النبي ﷺ:«كفى بالمرء كذباً أن يُحدِّث بكل ما سمع» [1]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(1) رواه مسلم.

ما أحوجنا للشورى

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

اهتم الإسلام كثيراً بمبدأ الشورى، وجعلها مِن صفات المؤمنين، لأنّ حياتهم تقوم على الشورى، بل أمْرُهم كلُّه شورى بينهم، وذلك لينتفع الناس بها، ويمارسونها في حياتهم وواقعهم، ومِن خلالها يتم التوصل إلى إيجاد الحلول الشرعية المناسبة لأوضاعهم ومشكلاتهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى [38]

وقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران [159]

قال ابن عطية ﷺ: «والشورى مِن قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، مَنْ لا يستشير أهل العلم والدين، فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه» (1)

وقال ابن خويز منداد: «واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم مِن أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتّاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح العباد

---

(1) تفسير ابن عطية 3 / 397.

وعماراتها»[1]

وإذا كان النبي ﷺ المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، قد أمره الله ﷻ أن يستشير أصحابه، فكيف بغيره مِن الأمراء والعلماء وطلاب العلم، فهي في حقهم أوجب.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشورة لأصحابه مِن رسول الله ﷺ»[2]

فشاور ﷺ صحابته يوم بدر في الذهاب إلى العير، وشاورهم أين يكون المنزل، وشاورهم في أحد في القعود في المدينة أو الخروج إلى العدو، وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة، وشاورهم يوم الحديبية، وشاورهم في حادثة الإفك، وغيرها مِن المواقف.

قال ﷺ لأبي بكر وعمر: «لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما»[3]

ولقد مارس الصحابة رضي الله عنهم مِن بعد رسول الله ﷺ الشورى في حياتهم، فقد كان أبوبكر رضي الله عنه يكثر مِن مشاورة عمر رضي الله عنه وكان أحياناً يجمع الصحابة رضي الله عنهم يستشيرهم

---

(1) تفسير القرطبي 4 / 261.

(2) رواه أحمد والشافعي.

(3) رواه أحمد وإسناده حسن.

في أمر لا يجد فيه نصاً مِن الكتاب والسنة، واستشار عبد الرحمن بن عوف ﷺ الناس في الخليفة الذي يخلف عمر بن الخطاب ﷺ وما حصل في سقيفة بني ساعدة فيمن يخلف رسول الله ﷺ.

وإذا كانت المرأة الكافرة بلقيس ملكة سبأ باليمن لم تنفرد برأيها عندما جاءها الكتاب مِن نبي الله سليمان ﷺ يطلب منها الدخول في دين الله، بل استشارت الملأ مِن قومها

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ النمل [32]

ولهذا نحن أولى بالشورى مِن هذه المرأة الكافرة وألزمُ بها، يا مَنْ تنفردون بآرائكم بدون استشارة العلماء وإخوانكم مِن طلاب العلم، وذلك لأنها الطريق السليم التي يُتوصل بها إلى أحسن وأفضل الآراء والحلول لتحقيق المصالح العامة للأفراد والجماعات والدول، وهي سبب مِن أسباب النصر والتمكين. «ففي أثناء الفتح الإسلامي لأرض فارس، طلب قائد جيش الفرس أنْ يلتقي بالقائد العربي قبل المعركة ليتفاوض معه في حقن الدماء، وبعد أنْ عرض الفارسي مقالته، قال العربي: أمهلني حتى أستشير القوم، فدُهش الفارسي وقال: ألستَ أمير الجند؟ قال: بلى، قال الفارسي: «إننا لا نُؤمِّر علينا مَنْ يشاور، قال له العربي: ولهذا نحن

نهزمكم دائماً، أما نحن فلا نؤمِّر علينا مَنْ لا يشاور» (1)

فعلى الأمراء والعلماء وطلبة العلم أنْ يتّخذوا بطانة صالحة لهم مِن أهل الحل والعقد مِن الأمناء وأصحاب العقول الراجحة، ومَن له حظ وافر في العلم والدين، وأهل الاختصاص في أمور الحياة، لأنّ المستشار مؤتَمن، كما جاء في الحديث: «المستشار مؤتَمن» (2)

وقال ﷺ:«إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق: إنْ نسي ذكّره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يُعِنْه» (3)

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «قال العلماء: وصِفة المستشار إنْ كان في الأحكام أنْ يكون عالماً ديِّناً، وقلما يكون ذلك إلا في عاقل. قال الحسن: ما كمُل دين أمريءٍ ما لم يكمل عقله، فإذا استُشير مَنْ هذه صفته واجتهد في الصلاح وبذل جهده فوقعت الإشارة خطأ، فلا غرامة عليه»(4)

(1) الحرية السياسية في الإسلام ص 188.

(2) رواه ابن ماجه والحديث صحيح.

(3) رواه أبو داود والحديث صحيح.

(4) تفسير القرطبي 4 / 262.

والنبي ﷺ حثَّ على اتخاذ البطانة الصالحة التي تقوِّم ما اعوجَّ مِن سلوك أو تقصير، وخاصةً مِن أصحاب المكانة الرفيعة مِن الأمراء والعلماء.

قال ﷺ:«ما بعث الله مِن نبي ولا استخلف مِن خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضّه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضّه عليه، فالمعصوم مَنْ عصم اللهُ ﷻ» (1)

قال أبو عبيدة: «البطانة: الدخلاء، والدخيل: هو الذي يدخل على الرئيس في مكان خلوته، ويُفضي إليه بسره، ويصدقه فيما يخبر به مما يخفى عليه مِن أمر رعيته ويعمل بمقتضاه» (2)

«ونقل ابن التين عن أشهب أنّه ينبغي للحاكم أنْ يخذ مَن يستكشف له أحوال الناس في السرّ، وليكن ثقة مأموناً فطناً عاقلاً، لأنّ المصيبة إنما تدخل على الحاكم المأمون مِن قَبُوله قول مَن لا يوثق به إذا كان هو حسن الظن به، فيجب عليه أنْ يتثبت في مثل ذلك» (3)

فما أحوجنا إلى مثل هذه البطانة الصالحة، التي تتقِ الله في الرعية وتخشاه، لأنّه

---

(1) رواه البخاري.

(2) فتح الباري 13 / 190.

(3) المصدر نفسه 13 / 190.

ليس كل واحد منهم يصلح لأنْ يكون مِن أهل الشورى

قال الإمام الزهري ﵀: «نِعم وزير العلم الرأي الحسن» (1)

وقال ﷺ «ما مِن نبي بعثه الله في أمةٍ قبلي إلا كان له مِن أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويتقيدون بأمره..... الحديث» (2)

قال قتادة ﵀: الحواري هو الذي يصلح للخلافة، وعنه: هو الوزير، وعن ابن عيينة: هو الناصر.

كما حذرنا الله ﷻ مِن اتخاذ البطانة السيئة، قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً مِن دونكم لا يألونكم خبالاً قال ابن كثير ﵀: «يقول الله ﵎: ناهياً عباده المؤمنين مِن اتخاذ المنافقين بطانة: أي يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقاتهم لا يألون المؤمنين خبالاً، أي يسعون في مخالفتهم وما يضرُّهم بكل ممكن، وبما يستطيعون مِن المكر والخديعة» (3)

«وقدِمَ أبو موسى الأشعري على عمر ﵄ بحساب فرفعه إلى عمر فأعجبه، وجاء عمر بكتاب، فقال لأبي موسى: أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس؟

---

(1) رواه الدارمي في المقدمة.

(2) رواه مسلم.

(3) تفسير القرآن العظيم 1 / 595.

فقال: إنه لا يدخل المسجد، فقال: لِمَ! أَجُنُبٌ هو؟ قال: إنه نصراني، فانتهره، وقال: لا تُدنِهِم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمْهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنْهم وقد خوّنهم الله» (1)

ولأهمية الشورى، يا حبّذا لو سلكنا نحن معشر طلاب العلم مسلك النبي ﷺ وصحابته الكرام، مبدأ الشورى مع علمائنا ومشايخنا وإخواننا مِن طلبة العلم الثقات، مِن قبل أن نتعجل في إصدار الأحكام واتخاذ القرارات الفردية، حتى نتدارك الأخطاء والعيوب التي فينا مِن قبل الندم، حين لا ينفع الندم، ونكون سبباً في انحراف بعض الشباب عن منهج الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله، وبهذا نكون قد تفادينا كثيراً مما نعاني منه مِن الأنانية وحب الذات والشهرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(1) تفسير القرطبي 4 / 188.

ويلك آمن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مِن الملاحظ انشغال كثير مِن الناس بالبحث والتحدث عن أخطاء وعيوب الآخرين، في حين أنهم غفلوا على أن يعترفوا بعيوبهم وأخطائهم، ولم يدركوا العيب الكبير في ذواتهم، وهذا مسلك خطير، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه: «يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عين نفسه» (1)

فالإنسان لابد أنْ ينظر إلى ذاته أولاً، حتى إن وجد عيباً أو تقصيراً، فهو أكثر قدرة على تصحيحه من غيره.

ووصف الله الإنسان فقال تعالى:

﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ القيامة [14، 15]

وواقع بعض السفهاء يشهد على أنَّهم يختلقون لأنفسهم المعاذير ويبرّرون بها مسلكهم السيئ للآخرين، لكن لا يمكن له أنْ يخدع نفسه إنْ كان في وعيه ورشده.

ومنهم مَن يظهر الأخلاق الحسنة أمام الناس، وإذا اختلى بنفسه خلع عنه هذه

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد وهو صحيح.

الفضائل، ولا يعلم هذا السفيه أنّ بصره وسمعه وجلده سيشهدون عليه يوم القيامة.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ فصلت [22]

يا مَنْ تأمن على نفسك: كُن صادقاً مع نفسك والآخرين، وتقويمك لذاتك ينقذك مِن التعرض لألسنة التشهير بك، ولسوء الظن أو الطعن في شخصك، فلماذا تنتظر انتقاد الآخرين لك.

فالتحدث والتتبع لعورات المسلمين، لا سيما إنْ كانوا مِن أصحاب المكانة العالية والنفوذ، كالأمراء والعلماء، فشعور هؤلاء بالانتقاد العلني يسبب المفاسد العظيمة، كما حذرنا النبي ﷺ مِن هذا فقال: «مَن أراد أنْ ينصح لذي سلطان فلا يُبده علانية، ولكنْ يأخذ بيده فيخلو به فإنْ قبل منه فذاك وإلاّ كان أدّى الذي عليه» (1)

وقال ﷺ:«أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم» (2)

إنّ استخدام أسلوب الطعن والتشهير والتشكيك والتحذير، مِن أهل العلم

(1) رواه أحمد بسند صحيح.

(2) رواه أبو داود والحديث صحيح.

والعلماء وطلابهم لمجرد هفوة أو زلة أو تقصير، ليست بالأساليب الممدوحة لتقويم الشخص، وعلاج المشكلات، وتصحيح السلوك، لكنْ طريقة التعامل في مثل هذه المواقف بالحكمة والموعظة الحسنة والرفق، واللين والاستغفار والرجوع إلى الله بالتوبة النصوح

قَالَ تَعَالَى:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل 125]

و قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ آل عمران [135]

وقال ﷺ:«إنّ الله رفيق يحب الرفق، ويرضاه ويعين عليه مالا يعين على العنف..» (1)

فإذا أعرض الإنسان عن هذا التوجيه القرآني والنبوي، فإنّ ضرره سيتعاظم أكثر فأكثر، فيكون سبباً في إعراض الناس، وعدم قَبولهم للحق، فيقع في ظلم نفسه وظلم الآخرين، فحينئذ لا تنفع الآهات ولن تنفع الشكوى، ولا ينفع

(1) رواه الطبراني والحديث صحيح.

البكاء، وهذا كله بعد فوات الأوان.

يا مَن حياتكم السخرية بطلبة العلم، ومجالسكم الغيبة والنميمة، والفُحش والكذب وتمزيق الأعراض، وعلى أبصاركم الغشاوة، وفي آذانكم وقر عن سماع الحق والإذعان له، وتسمعون بدروس العلم في بيوت الله، فتُعرضون عنها، فهؤلاء لا يعرفون طعم الإيمان، ولا لذة دروس العلم، ولا حق الأُخوّة والصحبة.

ءأمنتم مكر القوي العزيز؟ ءأمنتم انتقام ذي الانتقام؟ ألا تخافون أنْ يأتيكم ملك الموت بغتة وأنتم على ذلك؟

قَالَ تَعَالَى:

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ الأعراف [99]

ويلك آمن: أين أنت مِن إيمان أبي بكر الصديق ﵁ الذي قال فيه الرسول ﷺ: «لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر» (1)

ويلك آمن: أين أنت مِن إيمان عمر بن الخطاب ﵁ الذي قال فيه الرسول ﷺ: «لوكان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» (2)

---

(1) رواه البيهقي في الشعب بسند صحيح.

(2) رواه الترمذي والحديث حسن.

فهذان الصحابيان اللذان كانا يخشيان على نفسيهما من مكر الله، أين أنتم منهما.

واعلم أنّ احتقارك لإخوانك مِن طلبة العلم، وتكبرك عليهم، والطعن فيهم والتحذير منهم، والكذب عليهم، ليست قربى تتقرب بها إلى الله، كما تظن، فابتعد عن هذه المجالس، ولا تقترب مِن أصحابها، ثم سِر في طريق الهداية، طريق العلم والعلماء مع إخوانك مِن طلبة العلم، انضم إليهم تشعر بطعم الحياة وحلاوة الإيمان، ويوم القيامة تحشرون جميعاً إلى جنات النعيم.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ٦٧ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ٦٩ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ الزخرف [67-73]

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: «وجَبتْ محبتي للمتحابين فيَّ والمتجالسين فيَّ والمتباذلين فيَّ والمتزاورين فيَّ» (1)

فنحن معشر السلفيين أحق الناس بالمحبة والتزاور والتناصح والتعاون، فهذه

(1) رواه أحمد والحديث صحيح.

طريق النجاة من التفرق والتشرذم.

فما أعظمه من فضل، فلماذا تحرم نفسك من هذا النعيم، وتكون من أصحاب الظلمات والقيل والقال.

ويلك آمن: يا مَن تَتفكّه بأعراض المسلمين، تذكّر قول الله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ سورة ق [18] أين أنت مِن تحذير النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «كُفّ عليك هذا، قلتُ: يا رسول الله وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك، وهل يكبُّ الناس على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم» [1]

أين أنت مِن قول النبي ﷺ:«إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفِّر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإنّما نحن بك، فإنْ استقمت استقمنا، وإنْ اعوججت اعوججنا» [2]

وقوله ﷺ لعقبة بن عامر رضي الله عنه عندما سأله عن النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك وليسعُك بيتك وابكِ على خطيئتك» [3]

أين أنت: يا مَن تُظهر الشماتة بإخوانك المسلمين مِن طلبة العلم، مِن تحذير

---

(1) رواه الترمذي والحديث صحيح.

(2) رواه الترمذي والحديث حسن.

(3) رواه الترمذي والحديث حسن.

النبي ﷺ:

«لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك» (1)

ويلك آمن: يا مَن تظلم إخوانك مِن طلبة العلم وتكذب عليهم، مِن الوعيد الشديد لقوله ﷺ:

«إن الله ليُملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته» (2)

ألا نتقي الله جميعاً في أنفسنا وأزواجنا وأولادنا وذريّاتنا وإخواننا وعلمائنا ومشايخنا ومن لهم حق علينا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(1) رواه الترمذي والحديث حسن.

(2) متفق عليه.

لماذا نخشى النقد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنّ العقل والفطرة السليمة ليقبلان النقد إذا كان بالدليل الصحيح والفهم السليم، الذي يُراد به النصيحة والتقويم.

والواجب على كل مسلم أنْ يكون قصده لله في كل عمل يتقرب به انتصاراً للحق، لا للنفس والهوى.

قال ﷺ:«الدين النصيحة – ثلاثا – قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (1)

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم» (2)

وبهذا يتبين أنّ التجرد لله في القول والعمل وسلامة المقصد أصلٌ مهم في النصيحة والتقويم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة [5]

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه البخاري.

فعلى المسلم الناصح (إذا كان مِنْ أهل النصيحة) أنْ يتقي الله ويخشاه ويراقبه، ويشعر بمعيّة الله له، وليعلم أنّ الخطأ صفة ملازمة للإنسان لا ينجو منه إلا الأنبياء والرسل.

قال ﷺ:«كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:«..... وهكذا الرد على أهل البدع من الرافضة وغيرهم، إنْ لم يكن يُقصد منه بيان الحق وهدي الخلق ورحمتهم والإحسان إليهم، لم يكن عمله صالحاً، وإذا غلّظ في ذم بدعة ومعصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد ليحذره العباد، كما في نصوص الوعيد وغيرها، وقد يُهجر الرجل عقوبة وتعزيراً والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله للرحمة والإحسان لا للتشفّي والانتقام»[2]

وقال ابن القيم رحمه الله:«وعلى المتكلّم في هذا الباب وغيره أنْ يكون مصدر كلامه مِن العلم بالحق وغايته النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولإخوانه المسلمين، وإنْ جعل الحقَ تبعاً للهوى فسد القلب والعمل والحال والطريق» [3]

---

(1) رواه أحمد والترمذي وإسناده حسن.

(2) منهاج السنة النبوية 5 / 239.

(3) مدارج السالكين 3 / 522.

فمِثلُ هذا النقد نرحب به ونقبله لأنّ غايته النصيحة والتقويم، أما إذا كان النقد للانتقام والتشفي وتُتبُع العورات، فهذا نرفضه لأنّه مِن الانتصار للنفس والهوى، وهو يؤدي إلى الحط مِن قيمة المسلم، وهذا الأسلوب يجعل الإنسان يميل عن الحق ميلاً واضحاً لأنّ الهوى والانتصار للنفس مِن النوازع الخفية التي تتسلل إلى قلب المرء حتى تسيطر عليه مِن حيث لا يشعر، وقديماً كان سلفنا الكرام ﵃ يقولون «احذروا مِن الناس صنفين، صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه»(1)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية﵀:«وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر الله ورسوله في ذلك ولا يطلبه ولا يرضى برضا الله ورسوله ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه.....»(2)

وهكذا المسلم – وخاصة طالب العلم – كما قرر ذلك شيخنا ربيع المدخلي – حفظه الله –«لا ينتصر الشخص انتصاراً مطلقاً عاماً، إلا لرسول الله ﷺ ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً إلا للصحابة ﵃ فإنّ الهُدى يدور مع الرسول ﷺ حيث

(1) إغاثة اللهفان 2 / 241.

(2) منهاج السنة النبوية 5 / 256.

دار ويدور مِن أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا، فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم مِن العلماء ،فإنهم قد يُجمعون على خطأ، بل كلُّ قول قالوه ولم يقلْهُ غيرهم مِن الأمة لا يكونُ إلا خطأ، فإنّ الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مسلَّماً إلى عالم واحد وأصحابه، ولوكان كذلك لكان ذلك الشخص نظيراً لرسول الله ﷺ، وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم»[1]

فعلى الناقد أنْ يفتش في قلبه ويطهره مِن جميع آثار الهوى، وما يترتب عليه مِن فساد القلوب، قبل أنْ يبدأ في نقد الآخرين، حتى لا يصبح الحق باطلاً، والباطل حقاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:«فمَن اتبعَ أهواء الناس بعد العلم الذي بعث الله به رسوله وبعد هدى الله الذي بيَّنه لعباده، فهوى بهذه المثابة، ولهذا كان السلف يسمّون أهل البدع، والتفرق المخالفين للكتاب والسنة، أهل الأهواء، حيث قبلوا ما أحبوه، وردُّوا ما أبغضوه بأهوائهم بغير هدى من الله»[2]

ولهذا أوصى الله عز وجل نبيَّه داود عليه السلام بالحذر مِن الهوى، فقال:

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن

(1) النصيحة ص 50.

(2) نقد المنطق ص 154.

سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ سورة ص [26] فإذا وقع الإنسان في الهوى، انقلبت الموازين، وانتكست الأحكام، فلا يعرف معروفاً، ولا يُنكر منكراً، وهذا بابٌ عظيمٌ مِن أبواب الشر، الذي لا يُولّد إلا الظلم والجور بين العباد، وما يترتب عليه من التنازع والتقاطع، والتدابر والبغي، فتفرقت الكلمة، وتشتت القلوب، واختلفت العقائد والمناهج، وأصبحت الأهواء هي التي تتحكم بالمناهج والآراء والتوجيهات. بل أصبح الولاء والبراء على الأهواء، وحبّ الذات والانتصار للنفس والهوى مع عدم التحري والتثبت من أسباب الاعتداء والاتهام للآخرين بما ليس فيهم، وهذا عين الظلم.

فالنقد المشروع لابد منه، وهو ضرورة لا يَستغني عنها المسلم، إذا كان مبنيًّا على تمام العدل والانصاف، مِن التثبت والتحرّي، وعدم الظلم والتشفّي، والتعدي والانتقام، وحتى يكون مِن باب النصيحة والتقويم المأمور بهما شرعاً، لابد أنْ نرجع إلى منهج السلف بشموله وكماله، لتوجيه طاقات طالب العلم – إذا كان مِن أهل النقد – لتوظيف هذه الطاقات لخدمة هذا الدين، وتوجيه المخطئين والمنحرفين عن منهج السلف إلى جادة الحق والصواب، فنكون بهذا المنهج السلفي قد حققنا الغاية المشروعة مِن النقد، وعلى المخطئ أنْ يقبل هذا التوجيه بصدر رحب، وليعلم أنّ قَبول النقد المشروع مِنْ أهله أولى مِن التخبط والتمادي في الانحراف في العقيدة والمنهج، وما يترتب على ذلك مِن الأخطاء والعواقب

الوخيمة مِن فتح لباب الطعن والتشكيك في منهج السلف وأهله، وسببه عدم قَبول النقد المشروع.

فاحذر يا طالب العلم مِن التعالي على مشايخك وإخوانك، ومِن عدم قَبولك للنصيحة والتقويم فتهلك، فتكون بذلك عقبة في وجه الدعوة إلى الله، وهذا يضعفك ويضعف إخوانك ومحبيك، ويقوي شوكة المبغضين والحاقدين.

واعلم أنّ قبولك للنصيحة والتقويم، ليس عيباً وثلباً لك، بل هو مفخرةٌ ومنقبة لك، لأنّ الحقَّ أحقُّ أنْ يُتَّبع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الكلُّ يُفتي إلا المفتي

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى أله وصحبه أجمعين.

مِن الآفات المانعة مِنْ قَبول الحق، أنْ يكون المتكلم مِن حدثاء الأسنان، مَنْ لا يعرف للعلم قدراً، ولا يرفع له ذكراً، ولا يقيم له وزناً، ومع ذلك يِدّعي العلم وقوة الفهم، وسرعة الإدراك، فيحمله ذلك على العجلة في إصدار الفتاوى والأحكام في مسائل النوازل، مِنْ سفك الدماء، وهتك الحرمات، وتمزيق الأعراض، وتفريق الإخوان والأحباب والأصحاب، واستحلال ما حرّم الله ورسوله، بجامع الخلطة والعشرة لآحاد العلماء، ولوكان في سفرة أو سفرتين، ليوم أو يومين، ولا يعلم أنّه مِن سَقْط المتاع.

والعجب مِمَّن يدّعي الإنصاف والعدل ومحبة العلماء، ويجري على لسانه الطعن فيهم، وإصدار الفتاوى في هجرهم، وإسقاطهم بلا حجة، فمثل هذا أحق الناس بالسكوت والاعتراف بالجهل والقصور، فإنْ كان ولابدَّ متكلماً ومادحاً أو قادحاً، فلا يكون متكلماً بالجهل، وعائباً لما لا يفهمه، بل يقدِّم بين يدي ذلك تقوى الله والاشتغال بالعلم، حتى يعرفه حق المعرفة، فهذا وغيره مِن الجهلة، لا يعرفون ما يقولون، فغاية ما يجري بينهم مِن خصام وسباب ومشاتمة، وكثرة الفتاوى بغير علم، فصاروا بذلك عاراً على طلبة العلم، وأهانوا شرفه، وهذا مِن أعظم

المصائب التي أصابتهم، فشُغْلهم الشاغل، الثلب في أعراض الأحياء والأموات مِن المشهورين بالعلم والتصنيف والدعوة، فهؤلاء أحق الناس بمنعهم مِن مجالس العلم، والأخذ على أيديهم مِن الدخول في مداخل أهله والتشبه بهم، وذلك لما جلبوه مِن الشر على العلم وأهله، وهذا مِن مهام العلماء وولاة الأمور.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:«الإفتاء منصب عظيم، به يتصدى صاحبه لبيان ما يُشكل على العامة من أمور دينهم، ويرشدهم إلى الصراط المستقيم، ولذلك كان هذا المنصب العظيم لا يتصدر له إلا مَنْ كان أهلاً له، لذلك يجب على العباد أنْ يتقوا الله تبارك وتعالى، ولا يتكلموا إلا عن علم وبصيرة»[1]

ولهذا جاء الوعيد الشديد مِن الله تبارك وتعالى لمن يتكلم في دين الله بلا علم، بتحليل أو تحريم، فقال تعالى:

ولا تقولوا لما تصفُ ألسنتكم الكذبَ هذا حلالٌ وهذا حرامٌ لتفتروا على الله الكذب، إنَّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون، متاعٌ قليل ولهم عذابٌ أليم

وقال صلى الله عليه وسلم:«مَنْ أُفتيَ بغير علم، كان إثمه على مِنْ أفتاه، ومَن أشار على أخيه بأمر

(1) كتاب العلم ص 49.

يعلم أنَّ الرشد في غيره فقد خانه»[1]

وقال ﷺ:«مَنْ أفتى بفُتيا غير ثَبْت، فإنّما إثمه على مَن أفتاه»[2]

وقال ابن أبي ليلى رحمه الله:«أدركتُ مائة وعشرين مِن الأنصار مِن أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا حتى ترجع إلى الأول، وما منهم مِن أحد يحدِّث بحديث أو يسأل عن شيء، إلا ودَّ أنَّ أخاه كفاه»

وسُئل القاسم بن محمد عن شيء، فقال إنِّي لا أحسنه، فقال له السائل: إنِّي جئتك لا أعرف غيرك، فقال له القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي، والله ما أحسنه! فقال شيخ مِن قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي الزمها، فوالله ما رأيناك في مجلس أنبل منك اليوم، فقال القاسم: والله لأنْ يُقطع لساني أحبُّ إليَّ مِن أنْ أتكلم بما لا علم لي به»[3]

أين علمك مِن علم القاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة السبعة، يا مَن وقعتَ فيما وقع فيه أنصاف المتعلمين، مِن الجرأة على الله في الفتوى، وأنت مِن أجهل الناس في أحكام الله.

---

(1) رواه أبو داود والحديث حسن.

(2) رواه ابن ماجه والحديث حسن.

(3) إعلام الموقعين 4 / 178 – 179.

قال ابن القيم رحمه الله:«فمَن أقدم بالجرأة على ما ليس بأهل مِن فتيا أو قضاء أو تدريس، استحق اسم الذم، ولم يحلّ قبول فتياه ولا قضائه، وهذا حكم دين الإسلام.

وقال كذلك: «كان بعض أهل العلم يضرب على فتوى مَن كتب وليس بأهل، وقال: فقد نص الإمام الشافعي وأحمد وغيرهما مِن الأئمة أنّه لا يحل للرجل أنْ يفتي بغير علم، حكى في ذلك الإجماع»[1]

والفتوى بغير علم خيانة للمسلمين يستحق صاحبها العقوبة، لأنّ هذا العمل نابع مِن حب العظمة والشهرة، الذي يترتب عليه إضلال الناس، فكان عليهم الإثم والوزر.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:«إنّ كل مَن يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون»

قال الأعمش: «فذكرتُ ذلك للحاكم فقال: لو حدثتَني به قبل اليوم ما أفتيت في كثير مما كنت أفتي»

وقد رأى رجل ربيعة بن أبي عبد الرحمن يبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقال: أُستُفتيَ مَن لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم، قال: ولَبَعض مَن يفتي ههنا أحق بالسجن مِن السُرّاق.

---

(1) المصدر نفسه 4 / 170 – 171.

فقال بعض العلماء: فكيف لو رأى ربيعة زماننا، وإقدام مَن لا علم عنده على الفتيا، وتوثبه عليها، ومدَّ باع التكلف إليها، وتسلقه بالجهل والجرأة عليها مع قلة الخبرة وسوء السيرة وشؤم السريرة، وهومِن بين أهل العلم منكر أو غريب، فليس له في معرفة الكتاب والسنة وآثار السلف نصيب، ولا يُبدي جواباً بإحسان، وإنْ ساعد القدر فتواه» [1]

هذا الجهل بالفتوى، والتسرّع في إصدارها مِن غير أهلها، وعدم التثبّت منها، أوقع أهلها في ظلم العباد مِن التحابي، والتشهي وهوى النفس.

قال ابن القيم ﷀ:«وبالجملة فلا يجوز العمل والإفتاء في دين الله بالتشهي والتخيّر وموافقة الغرض، فيطلب القول الذي يوافق غرضه، وغرض مَن يحابيه، فيعمل به، ويفتي به ويحكم به، ويحكم على عدوه ويفتيه بضده، وهذا مِن أفسق الفسوق، وأكبر الكبائر، والله المستعان.

وقال: «ولا يجوز له إذا كان في المسألة قولان: قول بالجواز، وقول بالمنع، أنْ يختار لنفسه قول الجواز ولغيره قول المنع»[2]

وهذا ما وقع فيه أهل الجهل والهوى فيجيزون لأنفسهم الكلام في أعراض

---

(1) المصدر نفسه 4 / 168 – 169.

(2) المصدر نفسه 4 / 172.

العلماء ثلباً وطعناً، ويتخذون مِن هذا قربة إلى الله – زعموا – وفي المقابل إذا تكلم متكلم فيهم أوفي أحدهم بالدليل والبينة، سرعان ما أفتوا بالتحريم، فكيف يجيزون لأنفسهم، ويحرمون على غيرهم، وهذا مِن علامات أهل البدع.

قال وكيع رحمه الله:«أهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم»(1)

وأوقعهم الجهل في التقليد والتناقض، وتضارب الأقوال، مِن الجرأة على التقوّل على الله بغير علم، وتحقير ما عظمه الله من الفتوى.

قال ابن حزم رحمه الله:«كان عندنا مفتٍ قليل البضاعة، فكان لا يفتي حتى يتقدمه مَن يكتب الجواب، فيكتب تحته: جوابي مثل جواب الشيخ، فقُدِّرَ أنْ اختلف مفتيان في جواب، فكتب تحتهما: جوابي مثل جواب الشيخين، فقيل له: إنهما قد تناقضا، فقال: وأنا أيضاً تناقضتُّ كما تناقضا»(2)

وهذا شأن بعض المنتسبين للفتوى، فإذا أفتى أحدهم أومَن يقلدونه، قالوا بفتواه، وإذا تراجع عنها، تراجعوا، وهكذا، القول ما قال شيخهم، ولا دليل على الفتوى الأولى، ولا دليل على الفتوى الأخرى.

قال ابن القيم رحمه الله:«وسمعت شيخنا يقول: سمعت بعض الأمراء يقول عن

(1) ذم الكلام وأهله ص 338.

(2) المصدر نفسه 4 / 169.

بعض المفتين مِن أهل زمانه، يكون عندهم في المسألة ثلاثة أقوال: أحدها الجواز، والثاني المنع، والثالث التفصيل، فالجواز لهم، والمنع لغيرهم، والثالث عليه العمل»(1)

وعلى ولاة الأمور أن يأخذوا على أيدي هؤلاء الجهلة ويمنعونهم من الفتوى.

قال ابن القيم رحمه الله:«وكان شيخنا رضي الله عنه شديد الإنكار على هؤلاء، فسمعتُه يقول: قال لي بعض هؤلاء: أجعلتَ محتسباً على الفتوى؟ فقلتُ له: يكون على الخبازين والطبّاخين محتسب، ولا يكون على الفتوى محتسب»(2)

يا مَن تنتسب إلى الفتوى، وأنت مِن غير أهلها، إنْ أردتَّ الوصول إلى شيء مِن هذه الأمور، فعليك بحلقات العلم والعلماء، حتى تتأهل للفتوى، ولا يمكن تحقيق هذه الثمرة إلا بإخلاص النية لله في الطلب، والتواضع للعلم والعلماء والصبر، وعدم العجلة في قطف الثمرة، وترك العُجْب والخُيَلاء، وعدم التصدّر قبل التأهّل، وترك التشفي والانتقام، والتطاول على العلماء، فإنَّ منزلة العلم وأهله، هي المنزلة التي لا تساميها منزلة، وإنْ علت، ولا تساميها رتبة، وإنْ ارتفعت، واترك الفتوى لأهل الفتوى، مِن العلماء الكبار مِمَّن شابتْ لحاهم في

(1) المصدر نفسه 4 / 172.

(2) المصدر نفسه 4 / 177.

العلم، وهذا مجالهم وتخصصهم، فجزاهم الله خيراً، ونفع بهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أما آن لـهـم أنْ يـسـتـحـيـوا

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مِن الأمراض الخطيرة والمُحرّمة التي نعاني منها، إساءةُ الظن بالمسلمين، وخاصة بالعلماء وطلابهم، فهي أشدُّ خطراً وحُرمة، كما حذَّرنا الله ﷻ مِن بعض الظن، فكيف بالظن كلِّه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴾ الحجرات [12]

كما حذرنا النبي ﷺ منه فقال: «إيّاكم والظن فإنَّ الظن أكذب الحديث...»[1]

فهؤلاء القوم الذين أُصيبوا بهذا المرض، حفاظاً على أنفسهم وأهوائهم، وضعوا عراقيل في وجـه طـلب العلم، والدعوة إلى الله، بكلِّ الوسائل الممكنة والمؤديِّة لهدف التشكيك في أهل العلم، لإيقاف دروس العلم، بغياً وحسداً، وخوفاً على مكاسبهم التي حققوها بوسائل وطرق غير مشروعة، فيخشَوْن مِن طلاب العلم أنْ يفضـحـوهم، ويبصِّروا الآخرين بما عندهم مِن جهل وغُلو وتنطُّع وتمييع، وكلُّ هذا بسبب أمراض قلوبهم، فيعمَدون لوضع مثل هذه العوائق في طريق الدعاة إلى الله، لمنعهم مِن سبيل رسالتهم – زعموا -.

فيركزِّون عندما يضعون تلك العوائق على الأمر الذي لا يحسنونه ولا يفقهونه،

(1) متفق عليه.

فهؤلاء فقدوا الكثير مِن الأخلاق الحميدة، من المصداقية وإحسان الظن بإخوانهم طلبة العلم الذين قاموا بواجب التعليم والدعوة إلى الله على منهج الأنبياء والرسل.

فهؤلاء ابتعدوا عن نور العلم والإيمان، وتسرَّبت الظلمة في قلوبهم، وما يصاحبها مِن أمراض مختلفة، كالكبر والحسد والغيرة والانتقام والغلو والتنطع والتمييع، حتى ضعُفت قلوبهم رويداً رويداً، حتى هجروا دروس العلم، ولازم ذلك فساد قلوبهم وقسوتها، مما سبَّبَّ ضياع الحكمة ونسيانها.

وإذا فقد القلب الحياء، الذي يمنعه مِن الميل عن الطريق المستقيم، فسد قلبه ووقع في الانحراف والتخبط، والتطاول على الآخرين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن حياة القلب هي المانعة مِن القبائح التي تُفسد القلب»[1]

وقوة القلب حقيقية لا تتحقق بالظن السيئ بالآخرين، إنما تأتي بالعلم والإيمان والعمل الصالح، بغير ذلك لا تأتي للقلب قوة حقيقة صافية مِن شوائب الغرور والكبرياء والعُجب واحتقار الناس.

فما أحوجنا – نحن طلبة العلم – إلى هذه القلوب المطمئنة، التي لا تحتقر الناس

---

(1) الفتاوى 10 / 110.

ولا تسيء الظن بهم.

فها نحن نعاني مِن أصحاب القلوب المريضة، التي يصاحبها الظن السيئ.

* فإذا تكلمنا عن فضل العلم والعلماء، والحرص على طلب العلم على أيدي العلماء الربانيين، والالتفاف حولهم والاهتداء بهديهم، مع حفظ مكانتهم مِن احترامهم وتقديرهم، وخطر الاستغناء عنهم، وعدم عقوقهم، والخروج عليهم، وذب الغيبة والنميمة عنهم، وخطر الاعتماد في تلقي العلم عن الشبكة العنكبوتية،

قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا تكلمنا عن التدرج في أخذ العلم كمّاً ونوعاً، اقتداءً بالمشايخ وطلاب العلم الثقات، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا قلنا إن طالب العلم لابد أن يكون على الاستقامة والصلاح والتطبيق العملي للعلم، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا مِن أخذ العلم عن الأصاغر، والتصدّر للفتوى مِن غير أهلها، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا مِن التعالم والتعالي والغرور وعدم التواضع والاستقلالية عن العلماء، والخروج عن سمتهم، وهديهم وأخلاقهم وطريقتهم، قالوا: أنت تقصدنا

* وإذا حذرنا مِن خطر التمييع، والميل لأهل الأهواء والبدع مِن الحزبيين

والحركيين، والارتماء في أحضانهم والركون إليهم، ومشاركتهم في مجالسهم ورحلاتهم، مع تحذير العلماء مِن هذا المنهج، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا مِن تدريس كتب أهل البدع، ويجب طمسها وتمزيقها وحرقها، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا من مخاطر الغلو والتنطع، وقلة الأدب مع العلماء وطلابهم، مِن غمزهم واستنقاصهم حقهم أحياناً، وإشاعة ما يسيء إليهم، مع شحن قلوب الناس والشباب والعوام عليهم، والجرأة على الطعن والتشهير بهم، وعدم التفريق بين المصالح والمفاسد، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا من خطر التفرق والتمزق والاختلاف بين أصحاب العقيدة الواحدة، والمنهج الواحد، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا من خطر الحزبية المبطنة التي تتمثل بالتكتلات العائلية والمؤسسات، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا من اتهام النوايا، والحكم عليها، بدون دليل ولا برهان، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا من الكذب على العلماء وطلابهم في سبيل النكاية بالوشاية والاستعداء بالبهتان، وقد يصل الأمر عند بعضهم إلى الضرب والإضرار المباشر

بالسلاح وغيره، قالوا، أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا من العجلة في الحكم على الآخرين بدون تثبُّت، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا من تصيُّد زلات وهفوات وأخطاء العلماء للتشهير بهم، والانتقام والتشفي، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا من الخوض فيما لا علم عندهم، كعلم الجرح والتعديل، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا من تقليد الأشخاص والتعصب لهم، واتباعهم في كل ما يقولون ويفعلون، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا من مجالسة الفسّاق وأهل الفجور، وأهل الأهواء والبدع المفارقون للسنة، المعادون لأهلها، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا من خطر الظلم والجور، وخاصة لأهل العلم وطلابهم، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا من خطر الانشغال بالسياسة العصرية المبنية على الكذب والمراوغة والثرثرة، وقلة الدين، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا تكلمنا عن الولاء والبراء، ولابد أن يكون هذا المنهج على العقيدة الصحيحة والمنهج السليم، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا حذرنا من كثرة الجدال والمراء في الدين، والانشغال بالقيل والقال، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا نصحنا بالتعميم والتلميح كقول النبي ﷺ«ما بال أقوام»، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا تكلما عن التواد والتآلف، وألا يعتدي بعضنا على بعض، وألا يبغي بعضنا على بعض، وألا يُلزم بعضنا بعضاً في المسائل الاجتهادية، قالوا: أنت تقصدنا.

* وإذا تكلمنا عن الصبر والاحتساب في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، من اللين، وعدم الغـلظة والشدة في غير محلها، قالوا: أنت تقصدنا.

فإلى هؤلاء: ماذا تريدون منا، أن نسكت على الباطل، فإذا سكتنا لحكمة، قالوا سكتوا مع الساكتين، وإذا تكلمنا بحق، قالوا: أنت تقصدنا.

فهذا منهج أهل السنة والجماعة، الصدع بالحق في الوقت والمكان المناسبين، وحاسبوا أنفسكم مِن قبل أن تتهموا النوايا، واحمدوا الله الذي يسّر لكم مَنْ يوجهكم وينصحكم ويرشدكم، وإن لم تكن موجودة فيكم هذه الأمراض، فاحمدوا الله على ذلك، وهذه نعمة مِن نعم الله عليكم في كلا الحالتين، فاشكروا الله عليهما، لكن أين العقلاء؟ لا نجد إلا مَنْ ينطبق عليهم قول الله تعالى:

﴿ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ المنافقون [4] قال الإمام الشوكاني رحمه الله:«أيّ يحسبون كل صيحة يسمعونها واقعة عليهم، نازلة بهم، لـفرط جبنهم، ورعب قلوبهم»(1)

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴾ النساء [78]

وإلى هؤلاء: أما آن لكم أن تستحيوا، أما آن لكم أن تتقوا الله في أنفسكم، أما آن لكم أن تخشع قلوبكم لذكر الله، أما آن لكم أن تفيقوا من غفلتكم، أما آن لكم أن تراجعوا أنفسكم، فتتراجعوا عما أنتم عليه، وهذا ليس عيباً.

فكلنا ثقة بالله، ثم بأصحاب القلوب الخاشعة لله، الذين أصابتهم مثل هذه الأمراض، أن يحقوا الحق، ويبطلوا الباطل؛ إنه سميع قريب مجيب وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(1) فتح القدير 5 /328.

الغلاة يتصيّدون، والسفهاء سمّاعون، والحدثاء يصدّقون

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخطأ صفة ملازمة للإنسان، ولم ينجُ منه إلا الأنبياء والرسل عليهم السلام لقوله ﷺ: «كلُّ بني آدم خطّاء وخيرُ الخطّائين التوّابون»[1].

ومعالجة الأخطاء وتصحيحها مِن النصيحة في الدين، الواجبة على أهل العلم، لأنه منهج ربّاني، والقرآن كان ينزل أحيانا بتصحيح الأخطاء، التي كان يقع فيها أحيانا بعضُ الصحابة رضي الله عنهم كحاطب بن أبي بلتعة، وبعض الرماة في غزوة أحد، وحادثة الإفك، وترك بعض الصحابة خطبة الجمعة عندما جاءت القافلة للتجارة، إلى غير ذلك من الأمثلة الدالّة على أهمية تصحيح وتقويم الأخطاء ومعالجتها.

فإذا كان هذا حال مَنْ هم أفضل وأتقى لربهم منا، وأحرص منّا على مجانبة الوقوع في الخطأ، فكيف بحالنا نحن، ولهذا لا نترك المُخطئين على حالهم، ونعتذر عن العصاة وأهل الكبائر والبدع بأنهم بشر إلى غير ذلك مِن التبريرات، بل الواجب على أهل العلم الإنكار عليهم ومحاسبتهم، ولكن بميزان الشرع الحنيف،

---

(1) رواه ابن ماجه والحديث حسن.

فبعض الناس أكرمهم الله بالعلم النافع والأسلوب الحسن والمكانة الرفيعة، فمثل هؤلاء تُقبل منهم النصيحة مالا تُقبل مِن غيرهم، مِن الذين ما أرادوا وجه الله ﷻ في النصيحة، إنما هو التعالي، وتصيُّد الأخطاء وإشاعتها بين الناس للتشفّي والانتقام.

ودور النصيحة، ومعالجة الأخطاء وتقويم أصحابها، راجعٌ لِمَن يفقه فقه النصيحة، لأنّ الجاهلَ غيرُ صاحب الشبهة، والغافل غير المصرّ، والمجتهد غير المخطئ، والمبتدع غير الذي وقع في بدعة، فهؤلاء لابدّ أنْ يُتعامل معهم على حسب حالهم وما يُصلحهم، سواء أكان بالحكمة والرفق واللين، أم بالتغليظ والشدة، مع مراعاة عدم المحاباة في النصيحة والتقويم.

قال تعالى: وإذا قُلُتم فاعدلوا وقال: وإذا حكمتم بين الناس أنْ تحكموا بالعدل

ولقوله ﷺ لأسامة بن زيد عندما جاء يشفع للمرأة المخزومية التي سرقت: «والذي نفسي بيده لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها»[1]

فإقامة العدل أحب إلينا مِن محبة الأشخاص، مهما بلغوا مِن القرابة، والصحبة، فكيف بمَن يتغاضى عن خطأ صاحبه، ومَن كان مِن حزبه أو جمعيته، ويحمله على محملٍ حسن، ويشدُّ على خطأ غيره فيحمله على محملٍ آخر.

---

(1) متفق عليه.

وليعْلم طالب العلم السلفي، أنّ هناك مؤامرة خطيرة على الدعوة السلفية، لا تقف عند مجرد تصحيح خطأ، ولكن وراء الأكمة ما وراءها مِن الطعن والتشكيك والتشهير والانتقام مِن علماء الدعوة السلفية ودُعاتها وطلابها.

ووقع وللأسف الشديد بعض أدْعياء الدعوة السلفية في هذا المخطط مِن حيث لا يشعرون، لابتعادهم عن العلماء.

وقام الحزبيون، وأهل البدع مِن أهل الزيغ والضلال بترويج هذه المؤامرة، وإشعال نار الفتنة بين أصحاب العقيدة الواحدة والمنهج الواحد، وهذا نابع مِن الجهل بحقيقة هذه الدعوة والحسد والغَيْرة وحبّ الظهور والشهرة، بل هناك تحريض مِن جهات أخرى لها مصلحة في إسقاط علماء هذه الدعوة وطلابها، ومِن ثَمَّ إضعافها للقضاء عليها، وأنىّ لهم ذلك.

وبالرغم مِن وضوح هذه المعالم، وكثرة التحذير مِن هذه المؤامرات، وكثرة ما تعرضت له هذه الدعوة مِن ضربات وابتلاءات مِن الطاعنين والمُرجفين والحاقدين والبُغاة المعتدين، والغلاة المتنطِّعين ،وما قام به أهل البدع مِن حفر وشق الأخاديد في طريق دعاة المنهج السلفي، فتراهم يتصيَّدون الأخطاء والزلاّت ليجعلوا منها مُدخلاً لتسميع السفهاء، ومِن ثَمَّ وصولاً لتصديق الحدثاء، فهؤلاء أرادوا بالدعوة السلفية شراً، لكن بأسلوب خبيث جديد غير

سديد، فهم يدّعون أنهم لا يريدون إلا الخير لهذه الدعوة – زعموا – فتعرضوا لهذه الدعوة بالتشكيك في سلفية دعاتها وطلابها، وتحاملوا على أهلها و الذَّابين عنها، وهذا منهج الغلاة مِن أهل البدع.

قال أبو حاتم الرازي رحمه الله:«علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر»[1]

وقال أبو عثمان الصابوني رحمه الله:«وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم، واستخفافهم بهم»[2]

وقال أحمد بن سنان رحمه الله:«ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يُبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نُزعت حلاوة الحديث مِن قلبه»[3]

فهؤلاء الغُلاة مِن أهل البدع، شُغلهم الشاغل في علماء الدعوة السلفية وطلابها ودعاتها، ويُلبّسون على السفهاء بالأكاذيب والافتراءات والإشاعات، حتى يُصدّقهم الحدثاء.

قال أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني رحمه الله«أمّا إذا نظرتَ إلى أهل الأهواء والبدع،

---

(1) الالكائي 1 /179.

(2) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص 101.

(3) شرف أصحاب الحديث ص 145.

رأيتَهم متفرقين مختلفين، أو شيعاً وأحزاباً، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدّع بعضُهم بعضاً، بل يرتقون إلى التكفير............ تراهم أبداً في تنازع وتباغض، واختلاف، تنقضي أعمارهم ولمّا تتفق كلماتهم ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ الحشر [14] .... وأهل البدع أخذوا الدين مِن المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف»[1]

هذا حالهم، فاختلفوا فيما بينهم، وتفرّقوا وأسقط بعضهم بعضاً، فمنهم مَن حلق لحيته، ومنهم مَن خلع اللّباس الشرعيّ إلى اللباس الإفرنجي، ومنهم مَن ترك الصلاة في المساجد، ومنهم مَن ألقى بنفسه في أحضان التحزب،

ومنهم مَن ترك السُنّة إلى التكفير، ومنهم مَن ترك دروس العلم، وكان هذا ردة فعل على غُلوّهم وتنطّعهم وعدم أخذهم العلم عن العلماء.

فيا طالب العلم السلفي: لا تغترّ بهم، ولا بتنكيس رؤوسهم، ولا بجلساتهم السرية في السراديب بحجة التعليم.

قال الإمام أحمد رحمه الله وهو يصف أهل البدع: «وهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يتكلمون في المتشابه من الكلام، ويلبّسون

(1) الحجة في بيان المحجة 2 / 225، 226.

على جُهّال الناس بما يتكلمون به مِن المتشابه»[1]

وقال أيضاً: «إذا أردتَ أنْ تعلم محل الإسلام مِن أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما تنظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة»[2]

هكذا كان وصفُ علماء السنة لدعاة البدعة وأفراخهم وسفهائهم للتحذير مِن مسلكهم ومنهجهم لئلاّ يقع الحدثاء في شراكهم وحيلهم وتصديقهم بما يكذبون ويفترون، وبما يدّعون، وهذه شبهات يدندنون حولها ويثيرونها في قلوب طلاب العلم المبتدئين، وهنا مكمن الخطر.

والعلاج والمخرج مِن هذا كله ما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله:«فمتى باشر القلب حقيقة العلم، لم تؤثّر تلك الشبهة فيه، بل قويَ علمه ويقينه بردِّها ومعرفة بُطلانها، ومتى لم يباشر حقيقة العلم بالحق قلبُه، قدحت فيه الشك بأول وهلة، فإنْ تداركها، وإلا تتابعتْ على قلبه أمثالها، حتى يصير شاكاً مرتاباً، والقلب يتوارده جيشان من الباطل:

جيش شهوات الغِيّ، وجيش شبهات الباطل.

---

(1) الآداب الشرعية 1 / 209.

(2) المصدر نفسه 1 / 237.

فأيّما قلبٌ صغا إليها وركن إليها، وتشرّبها وامتلأ بها، فينضحُ لسانه وجوارحه بموجبها، فإنْ أُشربَ شبهات الباطل تفجّرت على لسانه الشكوك والشبهات والإيرادات، فيظن الجاهل أنّ ذلك لِسَعَة علمه، وإنما ذلك مِن عدم علمه ويقينه.

وقال لي شيخ الإسلام ﵀: «وقد جعلتُ أُورد عليه إيراداً بعد إيراد: »لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمرّ الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أَشربْتَ قلبك كلَّ شبهة تمرّ عليها صار مقراً للشبهات أو كما قال».

«فما أعلمُ إنِّي انتفعتُ بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك.

وإنما سُميتْ الشبهة شبهة، لاشتباه الحق بالباطل فيها، فإنّها تَلبس ثوب الحق على جسم الباطل، وأكثر الناس أصحاب حُسنٍ ظاهرٍ، فينظر الناظر فيما ألبسته مِن اللباس، فيعتقد صحّتها.

وأما صاحب العلم واليقين، فإنّه لا يغترُّ بذلك، بل يجاوز نظره إلى باطنه، وما تحت لباسها، فينكشف له حقيقتها.....»(1)

فيا طالب العلم السلفي: هكذا يجب أنْ تكون، لا تغترّ بهؤلاء الغُلاة والسفهاء

---

(1) مفتاح دار السعادة 1 / 140 – 142.

والحدثاء مِن أهل البدع، واحذر شبهاتهم وشرورهم، وإياك مِن إيراداتهم وتَلبيساتهم ومظاهرهم، مع أنهم يدّعون أنهم أحرص الناس على الدعوة، وكيف بحالهم وهم يرمون بأنفسهم في أحضان أهل الأهواء والبدع.

نسألُ الله السلامة والعافية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

حدثاء الأسنان إلى كهف النسيان

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنَّ الله ﷻ أنعم علينا بنعم كثيرة لا تُحصى، فقال تعالى:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ النحل [18]

ومِن هذه النعم، الصحة والفراغ، كما قال ﷺ:«نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ مِن الناس، الصحة والفراغ» (1)

قال ابن بطال رحمه الله:«كثيرٌ مِن الناس أي أنّ الذي يُوفق لذلك قليل»(2)

ويدخل في هذا القليل العلماء وطلابهم، وذلك لأهمية الصحة والفراغ في حياتهم، وهذا رأس مالهم.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «فمَن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله، فهو المغبوط، ومَنْ استعملهما في معصية الله، فهو المغبون، لأنّ الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم» (3)

---

(1) رواه البخاري.

(2) فتح الباري 11 /230.

(3) المصدر نفسه 11 / 230.

وحتى لا نضِّيع هذه النعم، علينا أن نستغلها في طاعة الله وعبادته مِن طلب العلم والدعوة إلى الله، على منهج الأنبياء والرسل، وكسب الوقت في المطالعة والاستزادة مِن المعرفة والاطلاع والبحث والتدقيق، فبهذه النعم يكون طالب العلم قد جمع بين العلم والعمل، وهي غاية مشروعة محمودة.

وهذه الغاية أكثر ما تتحقق في سن الشباب، وذلك لهمتهم العالية، وقلة الشواغل، قال ﷺ:«اغتنم خمساً قبل خمس، حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» (1)

قال الإمام النووي رحمه الله: «وينبغي للمتعلم أنْ يغتنم التحصيل في وقت الفراغ والنشاط، وحال الشباب وقوة البدن، ونباهة الخاطر وقلة الشواغل قبل عوارض البطالة» (2)

وقالت التابعية حفصة بنت سيرين رحمها الله: «يا معشر الشباب خذوا مِن أنفسكم وأنتم شباب، فإنِّي ما رأيت العمل إلا في الشباب» (3)

وللأسف الشديد هناك مِن الشباب مَن ضيّع وقته وفراغه في القيل والقال،

---

(1) رواه الحاكم والحديث صحيح.

(2) المجموع 1/ 69.

(3) صفوة الصفوة 4/ 24.

والغيبة والنميمة، وبعضهم مَن غلب عليه الكسل في التحصيل العلمي، ولا يعلم أنّ الفراغ في الكبر أضيق، والجسم فيه أضعف، والصحة فيه أقل، وكثرة الشواغل في الدنيا أكثر وأشد، والحفظ فيه مشقة، وكان مشايخنا يقولون لنا: «اطلبوا العلم قبل أن تتزوجوا» وذلك لأنّ الزوجة في هذا الزمان أحياناً مَشغلة عن طلب العلم.

وهذه زوجة الزهري في زمانها تشتكي من كثرة قراءة زوجها، فقالت: «والله إنّ هذه الكتب أشدُّ على مِن ثلاث ضرائر» (1)

قال الشيخ بكر أبوزيد ﵀: «فالحفظ على الوقت بالجد والاجتهاد، وملازمة الطلب ومثافنة الأشياخ (أي الجلوس عند ركبهم) والاشتغال بالعلم، قراءةً وإقراءً ومطالعةً وتدبراً وحفظاً وبحثاً، لاسيما في أوقات شرخ الشباب، ومقتبل العمر، ومعدن العافية، فاغتنم هذه الفرصة الغالية، لتنال رتب العلم العالية، فإنها (وقت جمع القلب واجتماع الفكر) لقلة الشواغل والصوارف عن التزامات الحياة والترؤس، ولخفة الـظهر والعيال» (2)

فهؤلاء القوم الذين لم يحسنوا استغلال فراغهم وأوقاتهم إلا في القيل والقال

---

(1) شذرات الذهب 1/285.

(2) حلية طالب العلم ص 62، 63.

والغيبة والنميمة، فقد تبين أمرهم وظهر حالهم، فلا نصيحة يقبلون ولا على علم يترددون، ولا لألسنتهم ضابطون، ولا على فراغهم يحافظون، ولا يعرفون لأهل الفضل فضلهم، بل لمشايخهم يتنكرون، فهم لكهف النسيان ذاهبون.

قال الإمام الشافعي - رحمه الله -:

إِذا المَـــــرءُ لا يَرعــــاكَ إِلّا تَكَلُّفــــاً   فَدَعــــهُ وَلا تُكثِــر عَلَيـــهِ التَأَسُّـــفا

فَفـي النـاسِ أَبـدالٌ وَفي الـتَركِ راحَـةٌ   وَفي القَلـبِ صَـبرٌ لِلحَبيـبِ وَلَـو جَفـا

فَـما كُـلُّ مَـن تَهـواهُ يَهـواكَ قَلبُــهُ   وَلا كُـلُّ مَـن صـافَيتَهُ لَـكَ قَـد صَـفا

إِذا لَم يَكُــن صَــفوُ الــوِدادِ طَبيعَـــةً   فَــلا خَــيرَ في وِدٍّ يَجــيءُ تَكَلُّفـــا

وَلا خَــيرَ في خِـــلٍّ يَخــونُ خَليلَـــهُ   وَيَلقــاهُ مِــن بَعــدِ المَــوَدَّةِ بِالجَفـــا

وَيُنكِــرُ عَيشــاً قَــد تَقــادَمَ عَهــدُهُ   وَيُظهِـرُ سِرّاً كـانَ بِـالأَمسِ قَـد خَفـا

سَــلامٌ عَــلى الــدُنيا إِذا لَم يَكُــن بِهـا   صَديقٌ صَدوقٌ صـادِقُ الوَعـدِ مُنصِـفا

وعلى طلاب العلم السلفيين، ألا يشغلهم أمر هؤلاء الحدثاء، ويجعلونهم عقبة في طريق دعوتهم، دعوة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، لأنهم لم يقبلوا النصيحة والإرشاد والتوجيه.

نصحنا كثيراً، سراً وتلميحاً وتعمياً، بدون فائدة، وصبرنا عليهم سنوات كثيرة، عملاً بوصية شيخنا وأستاذنا ربيع المدخلي -حفظه الله- والأمر على ما هم عليه مِن الجهل والهوى، فما عليكم أيها الطلاب إلا أن تحرصوا على طلب العلم

عملاً بوصية شيخنا وأستاذنا صالح السحيمي- حفظه الله-، وامضوا في دعوتكم، واصبروا على ما أنتم عليه مِن الحق، وحافظوا على إخوانكم ووحدتكم وألفتكم ومحبتكم، وكونوا مِن عباد الله الصالحين.

أيها الطلاب: ها هي ثمرة البعد عن العلماء والاستبداد بالرأي قد ظهرتْ على قلوبهم وألسنتهم، فدبَّ فيهم داء الخلاف، وتمكَّن الهوى مِن قلوبهم، وتسلّل الحسد والغيرة في أجسادهم وضعفت عقولهم.

ولهذا كان بعض السلف يقولون: «احذروا مِن الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا قد أعمته دنياه» (1)

فاتّباعهم لأهوائهم، وعدم قَبول نصيحة العلماء، ترتّب عليه ضياع للوقت، وإهدار للجهد في القيل والقال، ومَنْ هلك بالأمس، ومَن سقط اليوم، والزمن كشّاف.

وهكذا لا يستطيع مَن تبع هواه أن يسيطر على نفسه، لأن الهوى دائماً يضر بصاحبه، حتى يصل الإنسان إلى درجة العبادة، قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ الفرقان [43]

فقست قلوبهم، وتنوعت مشاربهم، واختلفت مناهجهم، وتفرقت كلمتهم،

---

(1) إغاثة اللهفان 2/166.

فمنهم مَن يمدح ويوثِّق بالأمـس، ويقدح ويجرِّح اليوم، والحال على ما هو عليه، ومنهم مَن يُثني ويشـكر بالأمس، ويـذمُّ ويسـبُّ اليوم، والحال على ما هو عليه، والنتيجة: الجهل والهوى، والمكان المناسب لهم والذي يليق بهم هو كهف النسيان.

وإذا كان القلب متبِعاً لهواه، فارغاً مِن العلم والإيمان، والأخلاق الحميدة، انعكس ذلك على جوارحه، فأصبح الإنسان يتخبط، ولا يُحسن استغلال وقته وفراغه في الأعمال الصالحة التي تنفعه في أيام حياته وبعد مـمـاته، وواقعهم وحالهم يشهدان بذلك.

وما أحوجنا في هذه الأيام إلى مَن ينصرنا على أنفسنا، ويبصّرنا في ديننا، وأنْ يأخذ بأيدينا إلى حُسن استغلال فراغنا وأوقاتنا، وأنْ يغفر لنا خطايانا، إنّه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربِّ العالمين

دعوها فإنها خبيثة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنّ مما نعاني منه في هذا العصر، الانتصار للنفس والهوى والقبيلة والعشيرة مِن العصبية الجاهلية التي يتفاخر بها بعض المسلمين على بعض، بل يتطاولون على الناس بتفاخرهم بقبيلتهم وعصبيتهم، وهذا ما كان عليه أهل الجاهلية مِن التفرق والتمزق والتشرذم، ولا يحكم دين ولا عقل حكيم، بل كان قويُّهم يأكل ضعيفهم، وغنيُّهم يأكل فقيرهم، والكلمة الأولى والأخيرة لسيد القبيلة ولوكان على باطل وجور وظلم، بل كانت الحروب تنعقد بينهم مِن أجل استغاثة رجل بقبيلة، ونحو ذلك.

فجاء الإسلام قاضياً على كل هذه الظواهر الجاهلية، وهذّب نفوس أصحابها، حيث جعل التفاضل بالعلم والتقوى والعمل الصالح، قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ الحجرات [13]

وقال ﷺ: «ألا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأبيض على

أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى» (1)

وقال ﷺ:«إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنّما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (2)

وأنكر النبي ﷺ أشد الإنكار على المهاجري والأنصاري، عندما قال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري يا للأنصار، فخرج عليهم، وقال لهم: «ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ ثم قال: «شأنهم»فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، فقال النبي ﷺ:«دعوها فإنها منتنة» (3)

فانتساب الشخص لماله أو ولده أو قبيلته أو عشيرته أو شيخه، وهو على غير تقوى وهُدى، لن تنفعه هذه النسبة، ولا تقربه إلى الله ﷻ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ سبأ [37]

ولهذا لما أنزل الله تعالى قوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء [214]

قام رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم

(1) رواه أحمد وإسناده صحيح.

(2) رواه مسلم.

(3) متفق عليه.

لا أغْني عنكم مِن الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم مِن الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك مِن الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنكِ مِن الله شيئاً ويا فاطمة بنت محمد سليني مِن مالي لا أغني عنك مِن الله شيئاً» (1)

فهل هؤلاء تنفعهم نسبتهم للنبي ﷺ عند الله ﷻ بدون الإيمان والعمل الصالح؟ فبيّن النبي ﷺ أنَّه لا يُنجِّي من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح.

وهل تنفع اليهود نسبتهم لنبي الله موسى عليه السلام؟ وهل تنفع النصارى نسبتهم لنبي الله عيسى عليه السلام؟ وهل تنفع الروافض (الشيعة) نسبتهم لآل بيت النبوة؟ وهل تنفعك يا مَن تتعصب لقبيلتك وعشيرتك وشيخك نسبتك لهم؟ فالمقياس: التقوى والعمل الصالح، قال ﷺ:«..... مَن بطَّأ به عمله لم يُسرع به نسبه» (2)

فالانتصار للقبيلة أو العشيرة على غير الحق، هذا عين الظلم والجاهلية، ولا تنفعهم تلك النصرة،

قال ﷺ:«مَن نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي رُدّيَ فهو ينزع بذنبه» (3)

«وينزع بذنبه» أي البعير الذي تردَّى في بئر ويحاول أصحابه أن يخرجوه مِن

(1) رواه البخاري.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه أبو داود وإسناده صحيح.

ذنبه. فالنصرة لابد أن تكون على الحق، وليس على القبيلة والباطل، فقال ﷺ:«أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، إن يكُ ظالماً فارده عن ظلمه، وإن يك مظلوماً فانصره» (1)

فكيف بمَن يُجنِّد بعض الناس للوقوف مع قبيلته الظالمة في وجه الحق! فكيف بمن يدفع الأموال والمغريات للمحتاجين مِن الناس لنصرة قبيلته على الباطل! وكيف بمن يشتري أصحاب الضمائر الضعيفة (المرتزقة) لبث الرعب والخوف بين الآمنين، ليبقى مسيطراً عليهم بالحديد والنار! أليس هذا مِن الجاهلية؟ فإذا كان الربُّ واحداً، والنبي واحداً، والدين واحداً، والأب واحداً والأم واحدةً (آدم وحواء) فلماذا هذه الجاهلية؟ قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ الحجرات [13]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إنَّ أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وإنْ لم تكن ابن نبي ولا أبا نبي، فإبراهيم ﷺ أكرم على الله مِن يوسف وإن كان أبوه آزر، وهذا أبوه يعقوب، وكذلك نوح أكرم على الله مِن إسرائيل، وإن كان هذا أولاده أنبياء، وهذا أولاده ليسوا بأنبياء.

(1) رواه الدارمي والحديث صحيح.

ولهذا لم يُثنِ الله على أحد في القرآن بنسبه أصلاً: لا على ولد نبي، ولا على أبي نبي، وإنما أثنى على الناس بإيمانهم وأعمالهم، وإذا ذكر صنفاً وأثنى عليهم، فلِمَا فيهم مِن الإيمان والعمل الصالح، لا بمجرد النسب» (1)

وامتدح اللهُ ﷻ الصحابةَ ﵃ بإيمانهم وأعمالهم الصالحة،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ التوبة [100]

وقَالَ تَعَالَى:

﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ الحديد [10]

فبعد هذا يُقال للذين يفتخرون بأنسابهم على الناس، ويتطاولون عليهم بالظلم والعدوان، وأكلهم لأموالهم بالباطل: فهذا مِن الطغيان والبغي والاستطالة على الخلق، وهذه كلها لا تنفع صاحبها، بل سيُحاسب عليها إنْ لم يتب إلى الله، ويردُّ المظالم لأهلها، قال ﷺ:«إنه أوحيَ إليَّ: أنْ تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد

(1) منهاج السنة 8 / 215 – 216.

ولا يبغي أحد على أحد» [1]

ولهذا حذَّر النبي ﷺ مِن أمور الجاهلية في حجة الوداع فقال: «.... ألا كلُّ شيء مِن أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع...» [2]

فالانتساب الشرعي المحمود، هو الانتساب لدين الله ﷻ والانتساب للآباء والأجداد وللقبيلة في الحق، فهي نسبة لابدَّ منها، أما إذا كانت كنسبة أهل الجاهلية، فهي بلا شك أكثر ذماً وأشدُّ مقتاً، لأنها مِن العصبية التي يبغضها الله ﷻ، فلا تفيد الشخص نسبتُه إلى نسبه إذا لم يكن من أهل التقوى والعمل الصالح.

ليس معنى ذلك أننا ندعو إلى إبطال الأنساب وتمزيق القبائل، كلا، بل نريد أنْ تكون القبيلة والعشيرة ملتزمتان بشرع الله، واقفتان عند حدوده، بعيدتان كل البعد عن ظلم الآخرين والتعدي عليهم واستغلال قوتهم في سفك دماء الأبرياء، وهتك أعراضهم، وأكل أموالهم بالباطل.

ومِن المعلوم أنَّ شرف القبيلة بهذا المعيار شرفٌ عظيم، ونعمة مِن نعم الله ﷻ، فتكون موالاتهم ومعاداتهم على دين الله ﷻ.

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

والأصل في القبائل القوية أن تنصر القبائل الضعيفة بالحق، وتشارك الآخرين في أفراحهم وأحزانهم ولا تتكبر ولا تتجبر، وتسعى جادة بين القبائل إلى إحقاق الحق، وإبطال الباطل، ونصرة المظلومين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلح خير، فهل من معتبر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنَّ مِن أهم مهمات طالب العلم، الصادق مع ربه، أنْ يكون مؤمناً بالله حق الإيمان، وثيق الصلة به، يستمد منه العون مع أخذه بالأسباب، مطيعاً لربه في أمره كله، خاشعاً، وقافاً عند حدوده، ممتثلاً أمرَه، ولو خالف هواه، منصاعاً لهديه، ولو خالف عادتَه، وقد تغشى نفس الإنسان، أَثارة مِن غفلة، فتزلَّ به القدم، أو يقع في تقصير لا يليق بالمؤمن الصادق، ولكنه سرعان ما يتذكر ويتنبَّه، وينتفض من غفلته، وينخلع مِن زلّتِه، ويستغفر من تقصيره، تائباً إلى ربه، منيباً إليه.

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ الأعراف [201]

وطالب العلم يبتغي من أقواله وأفعاله كلها وجه الله، همه مرضات ربه، في كل خطوة مِن خطواته، لا مرضاة الناس، لقوله ﷺ:«مَن التمس رضا الله بسخط الناس، كفاه الله مؤنة الناس، ومَن التمس رضا الناس بسخط الله، وكَّله الله إلى الناس» (1)

(1) رواه الترمذي والحديث صحيح.

ومِن هنا، على طالب العلم، أن يزن أعماله، بميزان مرضاة الله ﷻ وبذلك تستقيم مقاييس المسلم، فلا يقع في متناقضات قبلية، جاهلية، ولا تعصبات حزبية، ولا عواطف مضحكة سخيفة، تتلاعب به هنا وهناك، كالريشة في مهب الريح، تراه يطيع الله في أمر ويعصيه في آخر، أو يُحِلُّ الشيء هنا ويحرِّمه هناك، ويمدح الشخص في وجهه، ويذمه في غيبته، وهذا الازدواج في الشخصية من أخطر ما ابْتُلِيَ به بعض طلبة العلم في هذا العصر.

والإسلام يريد من المسلمين أن يكونوا شامة في الناس، متميزين في عقيدتهم، ومنهجهم وأقوالهم، وأفعالهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وزيهم، وهيئاتهم، وتصرفاتهم، حتى يكونوا قدوة حسنة، لقوله ﷺ لأصحابه: «إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم، وأحسنوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإنَّ الله لا يحب الفُحش ولا التفحُّش» [1]

فأنت أيها الطالب، يا مَن تسلك منهج نبيك في دعوتك، ميَّزك الله بالعلم النافع، والعمل الصالح عن غيرك مِن أهل الفسوق، والعصيان، فأنت صاحب علم ومعرفة، رحَّب بك النبي ﷺ، وحفَّتك الملائكة بأجنحتها.

فهذا صفوان بن عسَّال المرادي رضي الله عنه: «جاء إلى النبي ﷺ وهو في المسجد فقال

---

(1) رواه أبو داود وإسناده حسن.

له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم، فقال: مرحباً بطالب العلم، إنّ طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً، حتى يبلغوا السماء الدنيا مِن محبتهم لما يطلب» (1)

فبعد هذا الترحيب من النبي ﷺ، وبعد هذا التكريم من الملائكة، تتراجع القهقرى، فتترك طلب العلم، هذا لا يليق بك، فلا تجعل العواطف تتحكم بك، ولا تنقاد لهواك، فماذا تقول لربك يوم الميعاد، فهل تنفعك العصبية والقبلية؟ هل ينفعك انتصارك لنفسك وهواك؟

وقد كان سلفنا الصالح مهما عظمت منزلتهم العلمية، لا يكفُّون عن الاستزادة من التعلم، ومتابعة التحصيل العلمي، حتى آخر العمر، ويرون أن العلم يحيا وينمو بالمتابعة، ويذبل ويجف بالهجر والانقطاع.

قال ابن أبي غسان رحمه الله: «لا تزال عالماً ما كنت متعلماً، فإذا استغنيت، كنت جاهلاً» (2)

وقال الإمام مالك رحمه الله: «لا ينبغي لأحد يكون عنده علم أن يترك التعليم» (3)

(1) رواه الحاكم بإسناد صحيح.

(2) جامع بيان العلم وفضله 1 / 96.

(3) المصدر نفسه.

وقيل للإمام عبد الله بن المبارك ﷀ: «إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتى الممات، ولعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد» (1)

وما أجمل جواب الإمام ابن عيينة ﷀ حين قيل له: «من أحوج الناس إلى طلب العلم؟ فقال: أعلمهم، قيل ولماذا؟ قال: لأن الخطأ منه أقبح» (2)

فيا طلب العلم: انظر إلى هذه المرتبة العظيمة، فما أحوجنا إلى الاقتداء بهذا السلف العظيم.

فها هم تلاميذ الشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ مقبل الوادعي، - رحمهم الله جميعاً -، أخذوا يطلبون العلم على أيديهم حتى مماتهم، ألا تعتبر بهذه المواقف؟، فرفع الله شأنهم ومكانتهم في قلوب العباد، وأعزَّهم بذكرهم بعد مماتهم، فها هي مؤلفاتهم وكتبهم وأشرطتهم لا تخلوا بلد من البلاد، ولا مكتبة من المكتبات منها، وها هم تلاميذهم جابوا البلاد، علماً وتعليماً، وحملوا رسالة الدعوة من بعدهم، فبرّوا مشايخهم، وسدّوا مكانهم العلمي والدعوي.

فإذا كنتَ كما تزعُم، أنّك على منهجهم السلفي، كان لزاماً عليك أن تنخلع من

---

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه.

هواك، وتعود كما كنت، مع إخوانك، طالباً للعلم، فمرحباً بك وعفا الله عما سلف، وإيّاك وأحابيل الشيطان الماكرة، التي تحرص على تفريق الكلمة، وتمزيق الشمل، فنحن معاشر السلفيين، أحوج الناس إلى الوحدة والائتلاف، أحوج الناس إلى الالتفاف حول العلماء، أحوج الناس إلى وضع العصبية والقبلية تحت أقدامنا، أحوج الناس إلى اختيار الأخلاء والأصدقاء والبيئات التي لا تزيدنا إلا إيماناً، وصلاحاً وتقوى وتبصرة، وهذا لا يتحقق إلا في بيوت الله، ونحن نتلقى العلم الشرعي.

ونحن أحرص الناس للإعراض عن رفقاء السوء وشياطين الإنس، وعن مجالس الفُحش والمعصية، والغيبة والنميمة، والقيل والقال، التي تظلم فيها النفس ويصدأ القلب.

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ الكهف [28]

فيا طالب العلم: لا تكن سبباً في حجب مغفرة الله عنا، بهجرك لإخوانك، فقد جاء الوعيد الشديد مِن رسول الله ﷺ لأولئك القساة، الغلاظ في قوله: «تُفتح أبواب الجنة يوم الإثنين والخميس، فيُغفر لكل عبد لا يُشرك بالله شيئا، إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيُقال أَنْظِروا هذين حتى يصطلحا، أنظِروا هذين

حتى يصطلحا، أنظِروا هذين حتى يصطلحا» (1)

فيا طالب العلم: الصّلح خير، أين صلح ذات البين؟ أين كظم الغيظ؟ أين العفو عن أخيك، والتغاضي عن زلته؟ أين إقبالك على أخيك صفوحاً، عفُّواً؟ أين تواضعك لأخيك مبتغياً بذلك العزة والرفعة التي نبَّه إليها رسول الله ﷺ؟«ما زاد الله عبداَ بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله» (2)

إنّ الحقد والكراهية والحسد لا مكان لهم في قلب المسلم الواعي لدينه، فكيف بمن يحمل أمانة العلم والدعوة، وإنّه لحَريٌّ بطالب العلم بعد هذا كله أن يكون، نقي السريرة، صافي القلب، بَشُّ الوجه، طلق المُحَيّا، محباً للخير، محباً لإخوانه، ناصحاً لهم، واضعاً يده في أيديهم، لحمل هذا الأمانة العلمية والدعوية، فهل مِن معتبر.

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

فلسطين أرض الأنبياء والرسل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ليعلم القاصي والداني أن فلسطين حق للأمة الإسلامية، وهو حق ثابت بالكتاب والسنة، ولا يحق لأي أحد أن يفرط بأي جزء من فلسطين، ولا القبول بانفصالها عن الأمة الإسلامية، ومن فعل ذلك فقد خالف النصوص المجمع عليها.

وليعلم الجميع أنه ليس لليهود حق في فلسطين، لا في التوراة، ولا في الإنجيل، وما يدّعونه من حق فهو تحريف وباطل، فعلى المسلمين أن يكشفوا هذا الزيف والادعاء الكاذب.

لذلك كانت فلسطين مهد الرسالات السماوية وميدان النبوات والرسل في جميع العصور، فهي رسالة التوحيد والتي ختمت برسالة محمد ﷺ.

ومعظم الأنبياء والرسل الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم لهم صلة بفلسطين، فنبيٌّ يمر بها، ونبيٌّ يدعو فيها، ونبيٌّ يجاهد فيها، وعيسى عليه السلام رفعه الله إليه منها، ومحمد ﷺ أُسري به إليها، وأَمَّ الأنبياء في المسجد الأقصى، وعُرج به إلى السماء منها.

ولقد جاء إبراهيم عليه السلام إلى أرض فلسطين مسلما ودخلها مع لوط عليه السلام مهاجرين

بدينهما من العراق إلى أرض فلسطين، فأقام في مدينة الخليل، وأقام لوط عليه السلام في جنوبي البحر الميت في مدينة (سدوم).

والقدس هي القدس التي قدسها الله في كتابه الكريم، حيث ربطها بأفضل بقاع الأرض، وبارك حولها، وذلك في أعظم حدث تاريخي «رحلة الإسراء والمعراج» ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾الإسراء [1]

فهذا تشريف لفلسطين عامة وللأقصى خاصة.

وقد امتدت الدعوة الإسلامية – دعوة التوحيد – في أرض فلسطين، وارتبطت الدعوة الإسلامية بالأمة المسلمة، وارتبطت الأمة المسلمة مع إبراهيم عليه السلام بدعوة التوحيد ودين الإسلام لتظل دعوة ممتدة في الحياة، وفي الأرض كلها.

فهذا موسى عليه السلام يدعو للإسلام في مصر أولا، ولما اشتد أذى فرعون أمر قومه بالتحرك إلى الأرض المقدسة لينجو من فرعون قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ المائدة [21]

وسار إليها موسى عليه السلام داعيا لرسالة التوحيد شأنه شأن إخوانه الرسل عليهم السلام.

فسأل الله أن يدنيه منها رمية بحجر.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أُرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه

صكّه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطَّت يده بكل شعرة سنة. قال: أي ربِّ ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. قال: فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر.

قال أبو هريرة ﷺ: فقال رسول الله ﷺ «لوكنت ثَمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»[1]

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت (أو مررت في رواية أخرى) على موسى ليلة أُسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يُصلي في قبره»[2].

وهذا نبي الله يوشع بن نون عليه السلام الذي خرج فاتحا بيت المقدس، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«إن الشمس لم تُحبس على بشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس»[3].

وهكذا امتدت الرسالة الإسلامية – رسالة التوحيد – في فلسطين مع الزمن.

فهذا داود عليه السلام أنعم الله عليه بالقوة، وشد ملكه وآتاه الحكمة وفصل الخطاب

---

(1) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء.

(2) أخرجه مسلم كتاب الفضائل.

(3) أخرجه الإمام أحمد هو صحيح.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ سورة ص [17-20]

وجاء بعد داود سليمان نبيا مسلما.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ سورة ص [17-20]

ومن هذا العرض نرى مسيرة النبوة في أرض فلسطين، وفي أرض فلسطين كانت العصبة المؤمنة من بني إسرائيل تقاتل في سبيل الله.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة [246]

فهذه قصص الأنبياء ودعوتهم وجهادهم على أرض فلسطين، أما آن للمسلمين أن يعيدوا مجد أنبيائهم، باتباع منهجهم؟! وحين ندرس واقعنا، لابد من أن نقر

بأننا مازلنا نمر في مأساة، وأن ما أصابنا من ذل وهوان لم يكن ظلما لنا وأن الله لا يظلم أحدا إنما كان بسبب ابتعادنا عن ديننا الذي فيه العزة والكرامة، ومن سار عليه أكرمه الله بالنصر والتمكين، فلابد من وقفة إيمانية نصدق بها الله، ونصدق مع أنفسنا وأمتنا، ولنبحث عن أخطائنا فنقِّمها، فلا يكفي منا التباكي على ماضينا، ثم نخفي عيوبنا فتتراكم أمامنا حتى تحجب الرؤية: فأصبح الأقصى لفئة من المسلمين فقط، لا علاقة للآخرين به وهذا مفهوم خاطئ، فالأقصى لكل المسلمين الصادقين، وستظل أرض فلسطين أرض رباط وجهاد، وستظل مواكب الإيمان في مسيرتها تحمل رسالة الله إلى الناس كافة لتنقلهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام بإذنه تعالى، وهذا لا يتحقق إلا إذا توجهنا إلى الله بنية خالصة على صورة توحيد الله ﷻ.

الحكمة الربانية في كون مسرى النبي محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وبالتالي المعراج إلى السماء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ارتبطت فلسطين بالإسلام وانتسبت إليه، والتحمت به، وصارت جزءًا منه منذ قرون طويلة وآماد بعيدة، وهذا بأمر الله ﷻ، وكانت هذه الرابطة هي رابطة الإيمان والتوحيد، وكان الناسُ كلُّهم أمة واحدة تعبد الله حق العبادة، حتى أصبحت فلسطينُ الأرضَ المقدسةَ بالنبوة والرسالة، وبدين الإسلام، وأصبحت الأرضَ التي باركها الله، وبارك حولك ملْكَ الإسلام، وحقَّ الإسلام.

فإبراهيم عليه السلام هاجر إلى فلسطين بدينه حاملا معه رسالة التوحيد، وهاجر معه لوطٌ عليه السلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء [71]

قال الإمام الطبري رحمه الله: «هي أرض الشام، فارقَ صلوات الله عليه قومَه ودينَهم، وهاجر إلى الشام.

وعن أُبي بن كعب قال: «الشام. وعن قتادة قال: فأُنجيا إلى أرض الشام، وكان يقال للشام: عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من

الشام زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس، وبها ينزل عيسى بن مريم، وبها يهلك اللهُ شيخَ الضلالة الكذابَ الدجالَ» (1).

وامتدت هجرة إبراهيم عليه السلام إلى مكة مع زوجته هاجر وإسماعيل ليرفع قواعد البيت، لترتبط دار الإسلام ارتباط دين ورسالة، ليزداد الارتباط عمقا وتأكيدا، دين واحد، ورب واحد، وهكذا ترتبط فلسطين بمكة المكرمة بهجرة إبراهيم عليه السلام.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة [128]

وقَالَ تَعَالَى:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران [67]

وتوالى الأنبياء بعد إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب عليهم السلام يحملون رسالة التوحيد قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ البقرة [132]

وهكذا تمتد نبوة الإسلام بعد إبراهيم عليه السلام، حتى اختار الله موسى عليه السلام بالذهاب إلى الأرض المقدسة –فلسطين-

---

(1) جامع البيان46/17.

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَـٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ المائدة [21]

ففلسطين كانت مقدسة قبل موسى .عليه السلام

ولمكانة فلسطين عند الله ﷻ أنه أورثها للمستضعفين الموحدين من قوم موسى

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا ﴾ الأعراف [137]

قال الحسن البصري وقتادة: يعني الشام. (1)

وقال الإمام القرطبي :- رحمه الله «التي باركنا فيها» أي بإخراج الزروع والثمار والأنهار .[الجامع لأحكام القرآن 272/7] وها هي فلسطين مشهورة بهذه البركات بالإضافة إلى بركة الدين كذلك. وكذا داود وسليمان وعيسى ومحمد وغيرهم من أنبياء الإسلام كلهم كانوا مسلمين يحملون رسالة الإسلام يبلغونها للناس ويدعونهم إليها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله :ﷺ«الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم

---

(1) تفسير ابن كثير 242/2.

شتى ودينه واحد [(1)]

العلّات :الضرائر، وأولاد العلات: الأخوة من الأب وأمهاتهم شتى.

وكما أن هناك ارتباطا بين الأنبياء ودعوتهم، كذلك جعل الله الارتباط بين المسجدين الشريفين: المسجدِ الحرام والمسجدِ الأقصى الذي يعتبر المسجد الثاني بعد المسجد الحرام بأربعين عاما، فكان قبلةَ الأنبياء الأولى.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قلت :يا رسول الله! أي مسجد وُضع في الأرض أوّل؟ قال: «المسجد الحرام» قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى» قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصلِّه فإن الفضل فيه» [(2)]

وجعل الله من المسجد الأقصى الابتلاء وتمحيص القلوب، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ البقرة [143]

وعن البراء بن عازب قال :لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ صلى نحو بيت المقدس ستة أو سبعة عشر شهرا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجَّه إلى الكعبة فأنزل الله ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ البقرة [144]

فوُجِّه نحو الكعبة، وكان يحب ذلك، فصلى رجل معه العصر قال: ثم مرَّ على

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم، وفي رواية الأنبياء أولاد علّات.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

قوم من الأنصار وهم ركوع في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه قد وُجِّه إلى الكعبة قال: فانحرفوا وهم ركوع .[(1)].

وفضَّل النبي ﷺ الصلاة فيه، وحث على شد الرحال إليه، مما جعل له مزية على غيره من المساجد.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال :تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ:«صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعْمَ المصلى له، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه» وفي رواية «مثل قوسه» من الأرض حيث يُرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعا. أو قال: «خير له من الدنيا وما فيها» [(2)]

الشَّطن: قال في «اللسان»: الشَّطن: الحبل، والجمع أشْطان. وقال في «المعجم الوسيط»: الشَّطن: الحبل الطويل يُستقى به من البئر، أو تشد به الدابة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد:

---

(1) أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه شيخنا الألباني الصحيحة (2902).

المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى». [1]

وهكذا جاءت نبوة محمد ﷺ خاتمة الرسل ومعها الرسالة الكاملة التامة الجامعة للناس كافة، فكانت رحلة الإسراء والمعراج أولا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم المعراج إلى السماء ليفرض الله علينا أهم ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين وهو الصلاة.

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الإسراء [1]

قال الإمام الطبري رحمه الله في قوله تعالى:﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾يقول تعالى ذكرُه: الذي جعلنا حوله البركة لسكانه في معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم. [2]

وهذه الرحلة الربانية لتؤكد على:

1- أن الله جمع بين القبلتين في تلك الليلة.

2- أن بيت المقدس كان مهاجر الأنبياء قبل محمد ﷺ، فحصل الرحيل إليه ليجمع بين أسباب الفضائل.

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) جامع البيان 15/17.

3- أن بيت المقدس أرض المحشر والنشر.

4- أن دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي دعوة التوحيد.

5- أن بيت المقدس ضمن بقع الأرض المقدسة.

6- أن دين الإسلام مهيمن على كل بقع الأرض، وكل مقدسات البقع.

7- فيه تأكيد على رابطة الأخوة بين الأنبياء.

8- فيه أن محمدا ﷺ خاتم الأنبياء والرسل.

9- فيه توجيه للمسلمين على المحافظة وعدم التفريط بهذه الأرض المقدسة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

احذروا الفضائيات الشيطانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من المصائب والمنكرات ما وقع فيها بعض جهلة المسلمين، بل بعض المثقفين، (التمثيل) الذي استفحل شره بين المسلمين بسبب قلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى وصل الأمر بهؤلاء تمثيل كبار الصحابة، بل بعضهم مَنْ يمثل الأنبياء والرسل، وزعموا هؤلاء أن التمثيل مباح، وهم لا يعلمون أن التمثيل من أعظم المحرمات، وهو مناف للمروءة والرجولة والكرامة، فكيف تسمح لهم نفوسهم الوضيعة بالتمثيل حتى يكونوا أضحوكة للضاحكين، وهزأة للآخرين يبيعون بذلك عرضهم وشرفهم وكرامتهم وأخلاقهم، وذلك لأن التمثيل لا يخلو أن يمثل به أشخاص من نساء ورجال كما هو الغالب، أو خاص بالرجال، وكل هذه الحالات محرمه باتفاق المسلمين، وهذا ابتدعه الكفار والذي يعتبر من التشبه بهم، فإن الدين مبنى على مخالفتهم والابتعاد من التشبه بهم، فقال ﷺ:«مَنْ تشبه بقوم فهو منهم» (1)

ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله : «قلما تشبه رجل بقوم إلا لحق بهم» يعني في

---

(1) رواه أبو داود والحديث صحيح.

الدنيا والآخرة، فإن التشبه يحمل صاحبه على التخلّق بأخلاق المتشبه بهم، والتعلق بهم في جميع عاداتهم وتقاليدهم، والدافع لهذا حبهم وتعظيمهم، واستحسان جميع أحوالهم، وبذلك يتدرج في الانسلاخ من عوائد الإسلام شيئاً فشيئاً، حتى لا يبقى لديه من الإسلام إلا اسمه.

وهذا التمثيل يعتبر من اللهو والمزاح الباطل واللعب بعقول الناس ليضحكهم.

وللأسف الشديد هناك بعض القنوات الفضائية الشيطانية، تبث السموم بين الناس لصرفهم عن دين الله، وذلك بتمثيل لبعض الصحابة، وبعض الأنبياء والرسل كيوسف عليه السلام ونرى وللأسف الشديد كذلك أن كثيراً من الشباب وغيرهم مَنْ يعكف على مشاهدة هذه القنوات الشيطانية الساعات الطوال، إلى منتصف الليل وزيادة من أجل مشاهدة هذه الأكاذيب والسخريات بأنبياء الله ورسله، وقد نهى النبي ﷺ عن السهر بعد العشاء إلا لحاجة دينية أو دنيوية مباحة لا محرمة، فكان ﷺ«يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها» (1)

وتمثيل الغير يعتبر من الغيبة المحرمة، لأن فيه ذكر لما يكره الإنسان، فكيف بغيبة الأنبياء والرسل والصحابة، وقد قال ﷺ:«يا معشر مَنْ آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه

(1) رواه مسلم.

المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه الله ولو في جوف بيته»[1]

والتمثيل فيه أذية ومسبة للأنبياء والرسل والصحابة، فقال ﷺ:«لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[2]

وقال ﷺ:«لعن الله من سب أصحابي»[3]

وقال ﷺ:«لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»[4]

وقال ﷺ:«لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء»[5]

هذا في حق الصحابة والأموات عموما فكيف بمن يسب ويستهزأ بالأنبياء والرسل؟ أليس تمثيلهم فيه احتقار وإهانة لهم، وأنتم تقلدونهم في كلامهم وحركاتهم، والحاضرون يضحكون، في حين أن اليهود والنصارى يعظّمون أحبارهم ورهبانهم، ولا يعلم هؤلاء أنهم سيحاسبون على أفعالهم وأقوالهم التي استهانوا بها.

---

(1) رواه أبو داود والحديث صحيح.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه الطبراني والحديث حسن.

(4) رواه البخاري.

(5) رواه أحمد والحديث صحيح.

قال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيّن فيها، يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[1]

ومن العجب أن الممثلين وقعوا في التشبه بالنساء باللباس والكلام والحركات والتخنث حتى كأنه امرأة والعياذ بالله، وقد حذر النبيﷺ من هذا الصنيع فقال: «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء»[2]

وقال ﷺ«لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء»[3]

هذا مع ما فيه من تبرج للنساء واختلاط بالرجال، والغناء على آلات الطرب، الذي يترتب عليه فساد أخلاق الشباب من الذكور والإناث، وغير ذلك من الأخلاق الفاسدة، التي انتشرت بين المسلمين من النظر إلى النساء الفاجرات الجميلات، وطرق المغازلة والتعاشق بين الجنسين من التفاني في حبها وكيف يجالسها ويخاطبها ويضمها ويقبلها ويكاتبها وتكاتبه، فتخرج المرأة أو الفتاة من بيتها مع مشاهدة هذه السقطات، وهي متشوقة إلى ذلك، راغبة فيه، باحثة عمن يعشقها وتعشقه، ويفعل بها كما رأته من الممثل.

---

(1) متفق عليه.

(2) رواه الترمذي والحديث صحيح.

(3) رواه الترمذي والحديث صحيح.

أيها الرجل الغيور على أهله، يا مَنْ تجلس أنت وزوجتك وأولادك وبناتك أمام هذه الفضائيات الشيطانية، وأنتم تشاهدون هذه اللقطات الساقطة، أترضى هذه السقطات لزوجتك وأولادك وبناتك؟ فإذا كنت لا تقبل هذا، فعليك بتقوى الله ﷻ، والتوبة إليه، والابتعاد عن هذه القنوات الفضائية الشيطانية، والتحذير منها، وعدم مشاهدتها حتى لا تقع أنت وأهلك فيما حرم الله ورسوله.

وقد أفتى جمع من العلماء بحرمة التمثيل مطلقاً منهم الشيخ ابن باز والشيخ الألباني والشيخ حمود التويجري والشيخ ابن عثيمين، والشيخ الفوزان والشيخ أحمد النجمي، واللجنة الدائمة للإفتاء، وذلك لما يترتب عليه من كذب وإهانة وسخرية واستهزاء واحتقار للأنبياء والرسل والصحابة والتشبه بالعصاة والفسقة والفجرة والكفرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

حكم التحجير (حجز الأماكن) في المساجد

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضّل الرسول ﷺ الصلاة في الصف الأول والقرب من الإمام عن باقي الصفوف، فقالﷺ:«لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أنْ يستهموا عليه لاستهموا» [1]

وفي روايةٍ أخرى: «لو تعلمون ما في الصف المقدّم لكانت قرعة» [2]

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: «سمعتُ رسول الله ﷺيقول: «إنّ الله وملائكته يصلّون على الصف الأول، والصفوف الأولى» [3]

والصف الأول هو الصف المكتمل، قال سفيان الثوري رحمه الله: «بأنّ الصف الأول المتصل بين يدي المنبر، لا المقطوع بالمنبر» [4]

وعن قرّة بن إياس رضي الله عنه قال: «كنا نُنهَى أنْ نصف بين السواري على عهد رسول

(1) متفق عليه.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه أحمد و إسناده جيد.

(4) الثمر المستطاب 1 / 421.

الله ﷺ ونُطرَد عنها طرداً» [1]

وكان ابن مسعود ﷺ يقول: «لا تصفّوا بين السواري» [2]

وقال البيهقي ﷺ: «وهذا – والله أعلم – لأنّ الاسطوانة تحول بينهم وبين وصل الصف» [3]

وقال الإمام مالك ﷺ: «لا بأس بالصفوف بين الأساطين إذا ضاق المسجد» [4]

وللأسف الشديد هناك من المنابر ذوات الدرجات الكثيرة في كثير من المساجد المخالفة للسنة (ثلاث درجات) تقطع الصف الأول، ولا خلاف في جواز الصلاة بين السواري عند الضيق، أولمن يصلي لوحده، أما مع السعة فهي مكروهة.

والأجر العظيم لمنْ صلىَّ في الصف الأول، لا يتحقق إلا لمن تقدم وسبق بنفسه، أما مَنْ وضع سجادة أو طاولة أو كتاباً ونحوه، وتأخر عن الحضور بنفسه مبكراً، فهذا مخالف للسنة، ولم يدرك فضيلة الصلاة في الصف الأول، ومَنْ اعتقد غير ذلك فقد أخطأ.

---

(1) رواه ابن ماجه والحديث حسن صحيح.

(2) رواه البيهقي في الكبرى 3 / 104.

(3) المصدر نفسه.

(4) المدونة الكبرى 1 / 106.

أما مَنْ جاء مبكراً للصلاة في الصف الأول، ثم قام للوضوء أو للحركة، أو لغير ذلك من الأمور، ثم رجع إلى مكانه فهو أحق به مِن غيره، لقوله ﷺ إذا قام أحدكم مِن مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به [1]

وليعلم الجميع أنّ المساجد لله، والناس فيها سواء، وليس لأحد فيها حق المكان، إلا إذا قدم مبكراً بنفسه، فإذا سبقه غيره فهو أحق منه بالمكان.

وهناك ظاهرة غريبة في بعض البلدان، أنّ هناك مَنْ يرسل خادمه، أو عامله ليحجز له مكاناً من صلاة العصر إلى صلاة التراويح في رمضان.

ومَنْ حجز مكاناً بهذه الصورة، فقد تعدى على حق مِن حقوق مَنْ جاء قبله، وهذا الفعل يوجب لصاحبه الكسل، والتأخر عن الحضور للصلاة مبكراً، لأنّه يعلم أنّ له مكاناً في الصف الأول، مع ما يقع فيه مِن الإثم مِن تخطي رقاب الناس وإيذائهم بالمرور مِن أمامهم ليقطع عليهم صلاتهم، مما يُحدث الشحناء والبغضاء والعداوة والخصومة بين المصلين في بيوت الله، قال ﷺ:«لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه، لكان له أن يقف أربعين خيراً له مِن أنْ يمر بين يديه» [2]

---

(1) رواه مسلم.

(2) متفق عليه.

قال أبو النضر –أحد رواة الحديث-: لا أدري أقال: أربعين يوماً أو شهراً أوسنة»

وقال ﷺ:«إذا صلى أحدكم فليصلِّ إلى سترة وليدنُ منها ولا يَدَعْ أحداً يمر بين يديه، فإن جاء أحد يمر فليقاتله فإنه شيطان» [1]

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «أي يزيد في دفعه الثاني أشدُّ من الأول، وقال: وأجمعوا على أنه لا يلزمه أنْ يقاتله بالسلاح» [2]

ومِن العجب أنّ أكثر مَنْ يقومون بهذا الفعل مِن حجز الأماكن، هم أناس لهم رغبة في الخير، ولا يعلمون أنّ الرغبة في الخير لا تتحقق بهذا، لنهيه ﷺ عن هذا الفعل، لحديث عبد الرحمن بن شبل قال: «نهى رسول الله ﷺ عن نقرة الغراب وافتراش السبع وأن يوطِن الرجل المكان في المسجد كما يوطِن البعير» [3]

قال ابن الأثير رحمه الله: «معناه أن يألف الرجل مكاناً معلوماً من المسجد، مخصوصاً به، يصلي فيه كالبعير، لا يأوي مِن عطن إلا إلى مبرك دمث قد أوطنه واتخذه مناطاً» [4]

---

(1) متفق عليه.

(2) فتح الباري1 / 583.

(3) رواه أبو داود والحديث حسن.

(4) النهاية 5 / 204، مادة وطن.

وأحق الناس في الصلاة في الصف الأول هم أولوا الأحلام والنهى مِن العلماء والحفظة لكتاب الله، لقوله ﷺ:«ليلني منكم أولوا الأحلام والنُهى، ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيشات الأسواق» (1)

قال ابن الأثير رحمه الله: «هيش، يريد القتيل يُقتل في الفتنة لا يدري مَنْ قتله» (2)

وقال الإمام النووي رحمه الله: «في هذا الحديث تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام، لأنه أولى بالإكرام، ولأنه ربما احتاج الإمام إلى استخلاف فيكون هو أولى، ولأنه يتفطن لتنبيه الإمام على السهو لما لا يتفطن له غيره...» (3)

وعن قيس بن عباد رحمه الله قال: «بينما أنا بالمدينة في المسجد في الصف المقدّم قائماً أصلي، فجذبني رجل مِن خلفي جذبةً، فنحّاني وقام مقامي، وقال: فوالله ما عقلتُ صلاتي، فلما انصرف، فإذا هو أبيٌّ بن كعب، فقال: يا فتى لا يسوؤك الله، إنّ هذا عهد مِن النبي ﷺ إلينا أنْ نليه، ثم استقبل القبلة، فقال: هلك أهل العقدة، ورب الكعبة ثلاثاً، ثم قال: والله ما عليهم آسى، ولكن آسى عن مَنْ ضلوا،

---

(1) رواه مسلم.

(2) النهاية 5 / 287 مادة هيَش.

(3) شرح النووي 4 / 155.

وقال: قلت: مَنْ تعني بهذا؟ قال: الأمراء» (1)

فعلى العوام والجهلة مِن المصلين أنْ يتركوا الصلاة خلف الإمام في الصف الأول لأولي الأحلام والنهى، حتى لا يوقعوا أنفسهم في الحرج.

قال العلاّمة محمد جمال القاسمي رحمه الله:«في أغلب المساجد الكبيرة جماعة يلازمون منها ما وراء الإمام قبالة المحراب، فيأتون المسجد قبل الصلاة ويأخذون مصافهم وأمكنتهم المعينة لأنّ كل واحد منهم له مكان مِن تلك البقعة معيّن لا يحيد عنه غالباً، فقد يتفق أن يأتي مِن الناس مَن يظن وجود فرجة هناك أو يأمل أن يُفسح له، فإن كان الآتي مِن ذوي الوجاهة في علم أو منصب، اغتُفر له، وإن كان من طبقة غيرها، فمنهم مَنْ يلصق في مكانه ولا يتفسح، وإن كان المكان قابلاً للتفسح، ومنهم مَنْ إذا أحس بقدومه يتربع ليأخذ قدر الفراغ المظنون ويضيق عليه، فإذا أُقيمت الصلاة ودخل أحد، فإذا كان المكان فيه اتساع بعد الإقامة تسامحوا في هجومه، وإن لم يكن فيه اتساع كافٍ، إلا أنّه يمكن لهم أن يتفسحوا، فهناك لا تسل عن غرائبهم ،فمنهم مَنْ يترك مكانه ويذهب للصف الثاني حرداً وقد مُلِيء غيظاً وغضباً، ومنهم مَنْ يشير له بالرجوع ويقول ما ثم مكان، ومنهم مَنْ يلغط ويتأفف ويحوقل ويخاصم همساً وقد يكمل لغطه بعد الصلاة إذ يكون

(1) رواه ابن خزيمة وإسناده حسن.

قدّر في نفسه وهو في الصلاة ما يقرِّعه به ويوبخه على فعله، وقد يتفق أن يأتي أحد يلازم معهم جديداً فقد يسبق أحدهم إلى مـكانـه ويجلس فيه، فإذا قدم هذا الملازم القديم ورأى مكانه أُخِذ فتراه يحرد إلى آخر الصف ويلحظ مكانه بطرف خفي متأسفاً ومتغيظاً على هذا الذي اغتصب مكانه وقد لا يسعه الصبر فتراه يجاهر ويقول له: يا أخي لسنا أولاد البارحة واليوم في هذا الجامع، نحن من أربعين سنة نصلي في هذا المكان، فأين الذوق؟ «فتأمل ما يأتي به هؤلاء الجهلة، وتأمل عبادتهم المحشوة رياءً وعُجْباً وكِبراً، وهل مثل هؤلاء للخشية في قلوبهم أثر أو لثمرة الصلاة فيهم وجود؟ كلا، فما أحوجنا إلى مُربٍّ ومؤدبٍ والمستعان بالله» (1)

فالمؤمن الحريص على دينه إذا علم أنَّ فعله هذا مخالف لشرع الله، وما فيه مِن المفاسد والمضار، فإنّه لا يُقْدِم عليه ولا يفعله، ويستغفر الله مما صدر منه، ويعزم على أنْ لا يعود إليه مرة أخرى.

---

(1) اصلاح المساجد ص 241.

فهرس المحتويات